أصالة الاعتدال
والوسطية في الإسلام

السيد محمد علي الحسيني

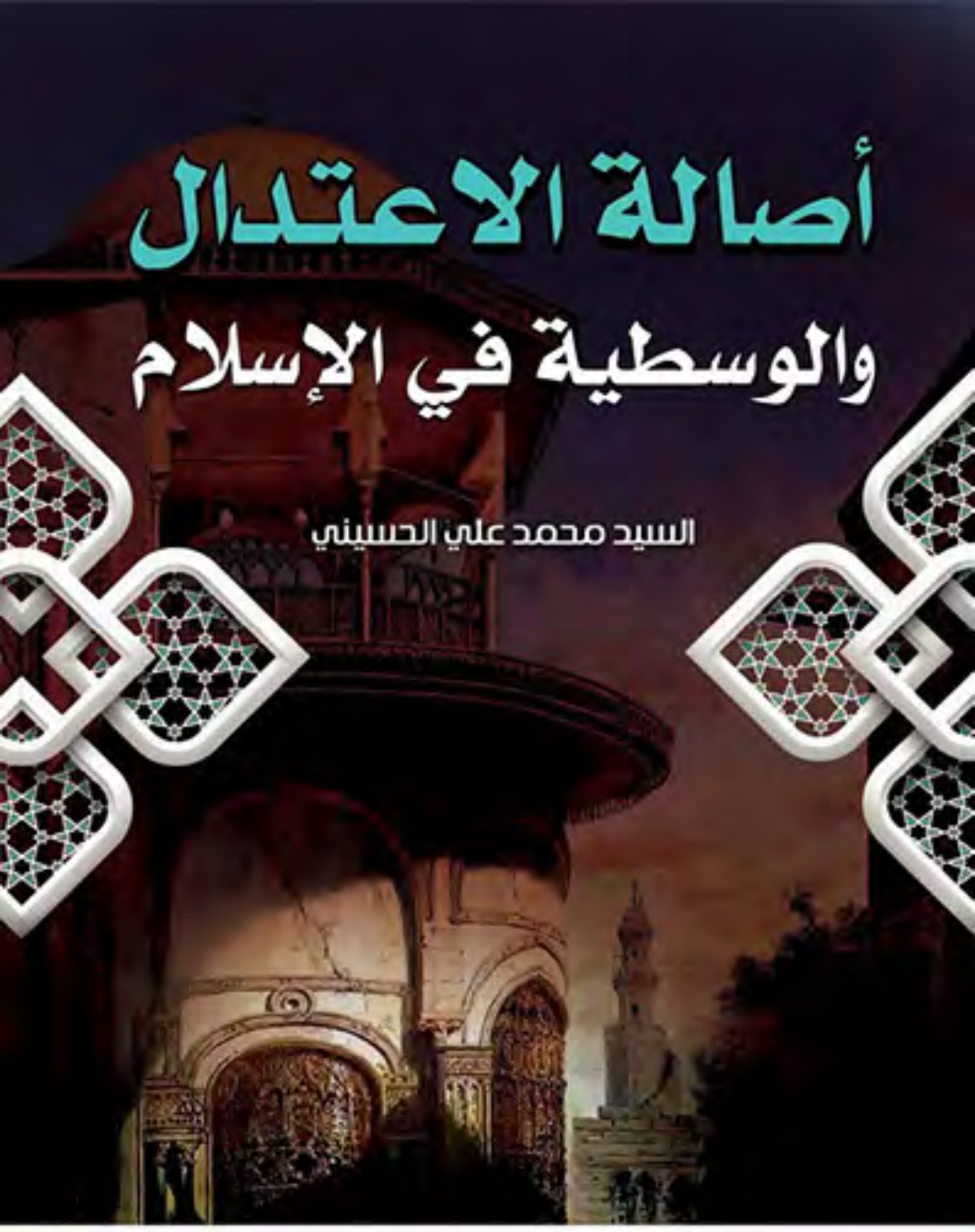

منشورات الحسيني

أصالة الاعتدال
والوسطية في الإسلام

تأليف
السيّد محمّد عليّ الحسينيّ

منشورات الحسيني
www.mohamadelhusseini.net

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

أحب أن أعلم الخطوات التي سارها الإنسان في طريقه من الهمجية إلى المدنية. هكذا كتب المفكر الأمريكي البارز ول ديورانت وهو يشرع بكتابة موسوعته الثرة والغناء (**قصة الحضارة**)، وقد شدني هذا الكلام بقوة إلى المعاني الكبيرة المدافة بين كلماته، خصوصاً وأن ديورانت ينقلنا في سفر ممتع طويل بين صفحات التأريخ ليجعلنا على بينة مما قد قام به الإنسان منذ فجره الأول وإلى يومنا هذا. تساءلت مع نفسي لأكثر من مرة وأنا أطالع الأجزاء ال٤٢ من تلك الموسوعة التأريخية الأكثر من رائعة، ترى ما هي الخطوات التي سارها التطرف والإرهاب خلال تأريخنا العربي الإسلامي؟ منذ بدايات وعيي ونشوئي الفكري، رأيت وأرى في الإسلام كدين ذي ماهية وطابع وجوهر إنساني يبذل كل ما بوسعه من أجل ردم الفواصل والفوارق والاختلافات التي بين الأديان والحضارات الإنسانية كي يدفعها باتجاه وحدة الانتماء والشعور الإنساني ووحدة الوجود والرب الواحد الذي خلق البشرية جميعاً.

في خضم الأوضاع والتطورات التي نجمت عن نشاطات وتحركات جماعات متطرفة تسعى للاعتماد على الإرهاب بمختلف أنواعه كوسيلة من أجل تحقيق الغايات المنشودة لها، والتي نجزم بأنها تتقاطع مع المباني الأساسية للدين الإسلامي جملة وتفصيلاً، وفي خضم عدم وجود جهد نوعي مؤثر يعمل من أجل الوقوف بوجه الاجتهادات والتأويلات السطحية والمنحرفة للنصوص الشرعية واستنباط أحكام بالغة القسوة والعنف، ومع تصاعد حالة من «**الإسلامفوبيا**»، ليس في دول العالم غير الإسلامية، بل وحتى في البلدان الإسلامية ذاتها، والتي صرنا نصطدم بدعوات واتجاهات تعادي الإسلام وتتهمه «جهلاً» بأنه حاضن للتطرف والإرهاب، فإن الحاجة الماسة قد برزت من أجل التصدي لذلك وإثبات حقيقة أن الإسلام هو حاضن الاعتدال والوسطية والتسامح والتعايش السلمي والند والرافض الأساسي للتطرف والإرهاب وكل أنواع التهميش والتبعيض والانقسام ورفض الآخر.

النتائج المؤسفة التي قادت وتقود إليها التصرفات والأعمال والنشاطات الإرهابية للجماعات الإرهابية من مختلف المشارب، باتت تنعكس بآثارها وتداعيتها علينا كمسلمين عموماً وكعلماء دين خصوصاً.

ومن الخطأ الفاحش البقاء في حالة الصمت أو الدفاع السلبي وتجاهل ذلك بالاعتماد على التأكيد أن الإسلام دين وسطي يؤمن بالاعتدال ويدعو للتسامح من دون شرح ذلك وبالتفصيل وتبسيطه، كيما يفهمه الجميع ويتأكدوا أن الإسلام وبناءً على المباني الشرعية المستقاة منه، هو دين معادٍ للتطرف والإرهاب ولا يقبل به بأيّ شكل من الأشكال.

منذ أعوام عديدة ونحن نخوض غمار مواجهة فكرية ضروس ضد التيارات والاتجاهات المتطرفة التي تؤمن بالإرهاب كوسيلة لها، وسعينا بكل قوة لدحضها وتفنيد الأدلة الضعيفة التي تستند إليها من أجل تبرير أعمالها ونشاطاتها المشبوهة، لكننا وجدنا اليوم بأن التصريحات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات وإلقاء الخطب والكلمات مع أهميتها، لم تعد كافية، خصوصاً ونحن نشهد تفاقم الحالة سوءاً وتضارب الآراء والمواقف والأفكار تجاهها، وذلك ما دعانا للعزم على تأليف كتابنا هذا الذي بين يديك وأسميناه «**أصالة الاعتدال والوسطية في الإسلام**»، نسعى من خلاله إلى تأكيد العلاقة الجدلية الوطيدة والراسخة بين الإسلام وبين الاعتدال والوسطية والتسامح، - وفي الوقت نفسه - التناقض الكبير والواسع بينه وبين التطرف والغلو والإرهاب.

قضية التطرف بأبعاده المختلفة والإرهاب بجوانبه المتباينة، بالإضافة إلى الأمور المتعلقة بتصاعد مشاعر الكراهية والحقد ورفض الآخر والانغلاق على النفس أفراداً ومجتمعات، من الخطأ الفاحش والمبين النظر إليها على أنها حالة طارئة أو مستجدة وليست لها أية جذور أو منابع من التأريخ العربي الإسلامي، وكذلك من مصادره الفكرية والسياسية المختلفة، وإن التصدي لما نعانيه اليوم لا يمكن أن يؤدي إلى أية نتيجة من دون طرح ما جرى في الماضي بهذا الخصوص على طاولة البحث والمناقشة والتمحيص.

الحقيقة الهامة التي نريد أن نؤكد عليها ونقف عندها، هي أنه ليس بالضرورة أن نعول على الأحداث والتطورات التأريخية ذات الصلة بوباء وآفة التطرف والإرهاب ونمنحها بعداً ومنزلة مقدسة، بحيث لا يمكن المساس بها، ذلك

أننا نرى أن واحداً من العوامل التي ساعدت وتساعد على إذكاء هذا الوباء الفتاك هو النظر لبعض الأحداث والتطورات التأريخية، - ولا سيما في المراحل والفترات التي رافقتها الفتن والفوضى-، على أنها جزء مكمل للإسلام ومحسوب عليه، فذلك ما قد أوقع الكثيرين في إشكالات قادت إلى بروز فتن وفوضى وانقسامات ومواجهات دامية، كانت الأمة الإسلامية على الدوام في غنى كامل عنها، ومن هذا المنطلق، فإننا في كتابنا هذا لا ننظر إلى تلك الأحداث تلك النظرة المثالية، بل نعاملها كأية أحداث عادية تحدث وتتكرر على مر الزمان.

الله سبحانه وتعالى عندما ذكر في محكم كتابه المبين: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وعندما قال الرسول الأكرم ﷺ، في الحديث الشريف بأن «العلماء ورثة الأنبياء»، فإنه كان بذلك يسعى للفت انتباه الأمة الإسلامية إلى الدور الريادي والبارز الذي يمكن أن يقوم به هؤلاء العلماء في حالة فهمهم واستيعابهم للإسلام من مختلف جوانبه، والسعي لإسقاط هذه الحالة على واقع الأمة الإسلامية وتجسيدها بكل الطرق الشرعية المتاحة، وخصوصاً في أوقات الأزمات والفتن كالتي نشهدها حالياً.

وهناك ملاحظة هامة وحساسة نريد التأكيد عليها هنا وفي هذا الكتاب، وهي أن الله تعالى ونبيّه الأكرم ﷺ، قد منحا العلماء مكانة خاصة ومتميزة بحيث جعلاهم مقياساً للفساد والإصلاح في الأمة، فإن ذلك بسبب كونهم القائمين على تفسير وتأويل وبيان طرق وأساليب النصوص الدينية وكيفية الاستفادة منها وترجمتها على أرض الواقع.

ولنا في هذا الكتاب أيضاً وقفة عند بعض من النصوص الدينية، وثمة ملاحظات بشأنها، آملين أن تصبح مدخلاً ذا أهمية لمعالجة وباء التطرف والإرهاب.

وبناءً على كل ذلك، فإننا قد عملنا بعون الله وبركته في كتابنا هذا على العمل جهد الإمكان من أجل إيصال فكرة أصالة الاعتدال والوسطية في الإسلام إلى أمتنا الإسلامية، ولإظهار حقيقة براءة الإسلام من الكراهية والتطرف، والإرهاب، والغلو والتكفير، لأن الاعتدال، والتسامح، والوسطية، والمحبة وقبول الآخر، هو الأصل فيه، وهو يعتمد على نصوص من الكتاب والسُّنة ومصادر تاريخية وفكرية مختلفة.

كما أننا إذا وضعنا خطة واستراتيجية خاصة لمعالجة واقعية فعلية لهذا المرض الذي بات يفتك بالأمة،- بل بالعالم باسم الإسلام المزيف والتكفيري المنحرف المشوّه-، وما نصبو إليه هو إبطال الباطل وإظهار الحق ليعم السلام والأمان والاستقرار والتعايش السلمي بمحبة وتسامح واعتدال ووسطية، بعيداً عن الكراهية، والعنف، والتطرف والتكفير، فإننا نكون قد جسّدنا وعكسنا الحقيقة الناصعة لديننا الحنيف. والله من وراء القصد عليم.

محمد علي الحسيني

بيروت ٢٠١٧

www.mohamadelhusseini.net

الفصل الأول:

من أين انطلق التطرف والغلو والارهاب؟

من أين انطلق التطرف والغلو والارهاب؟

إلقاء نظرة متفحصة على المرحلة الزمنية التي شرّف الإسلام بنوره شبه الجزيرة العربية والظروف والأوضاع الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة، تؤكد حقيقة بالغة الأهمية، وهي أن التطرف والظلم وعدم المساواة والاعتدال كان هو الغالب في كل تلك الأوضاع.

هذه الأوضاع لا بدّ من تسليط الأضواء عليها من أجل فهم ما قد جاء به الإسلام وقام بتغييره والمعايير والقيم التي أنجز بها ذلك التغيير، وقطعاً لا بدّ من دراسة كل هذه الأوضاع واحداً تلو الآخر كي تتوضح لنا الصورة تماماً، ذلك أن البعض من الذين يحلو لهم توجيه سهام النقد للإسلام وإلقاء الحبل على الغارب دون أن يسعى للتدقيق في الجذور والظروف التاريخية التي جاء في ظلها الإسلام، والكيفية التي تعاطى وتعامل بها مع مجتمع بدويّ النزعة منغلق على نفسه يعيش ضمن دائرة ضيقة في ظل بيئة قاسية.

العرب قبل الإسلام، كانوا قبائل متفرقة تكيد العداء لبعضها البعض وتضمر الشر والمكائد التي كادت أن تكون من دون نهاية، بل وإن التفاخر بسلب ونهب القبائل الأخرى وسبي نسائها وأطفالها وقتل شبابها ورجالها، والقوى الغضبية لدى الأفراد والجماعات مدافة مع القوى الغرائزية، هي التي تتحكم بطابع وأخلاق القبائل عندما تغير على بعضها بعضاً، ولذا فإن جميع القبائل كانت تعرف ما ينتظرها من شر وبلاء ومصائب فيما لو أخذت على حين غرة.

إنّ القرآن يسمّي عهد العرب المتّصل بظهور الإسلام بالجاهليّة، وهذا ليس إلّا إشارة منه إلى أنّ الحاكم فيهم يومئذ الجهل دون العلم، وأنّ المسيطر عليهم في كلّ شيء الباطل دون الحق، وكذلك كانوا على ما يقص القرآن من شؤونهم، قال عز وجل: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. آل عمران: ١٥٤ ، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾. المائدة: ٥٠

وقال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. الفتح: ٢٦

وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾ الأحزاب: ٣٣. فهذه الآيات خير مرآة لحالات العرب وأوضاعهم قبل الإسلام.

إلقاء نظرة على الأوضاع المختلفة التي كانت سائدة حينئذٍ في الجزيرة العربية، تبيّن بوضوح صعوبة التعامل مع القبائل القاطنة فيها وجمعهم على كلمة واحدة، وتغيير أفكارهم ورؤاهم وعقائدهم التي كانوا يتمسكون بها إلى

أبعد حد، والحقيقة أن الذي يجب أن نقرّ به هو أنه لم يكن بوسع أية قوة أو دولة أو حتى ديانة غير الإسلام أن تنجز تلك المهمة الصعبة، وتحقق المعجزة بإجراء تغيير جذري لتلك القبائل، وخلق وإيجاد مجتمع حضري صار المادة الأساسية في بناء صرح الحضارة العربية - الإسلامية.

ومن أجل الفائدة والمعرفة، فإننا نتناول الأوضاع المختلفة التي كانت تحيط بالمجتمع العربي في الجزيرة العربية بصورة موجزة لكي نفهم من خلالها ما الذي قام به الإسلام، وما الذي حققه وأنجزه في ظل تلك الأوضاع.

أولاً: الأوضاع الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

هناك أكثر من معنى من وراء نزول القرآن في بيئة صحراوية قاحلة ذات طبيعة قاسية ومناخ جاف، وصعوبة العيش واستمرار الحياة في ضوء ذلك في مجتمع بدوي حاد الطباع يجنح في أغلب الأوقات للركون إلى منطق استخدام القوة والعنف من أجل تحقيق الغايات والأهداف، مجتمع شبه الجزيرة العربية الذي كانت تتحكم به القيم والمثل والمفاهيم البدوية، وتهيمن عليه عادات وتقاليد صارمة تعكس وتجسّد الإطار والخط العام الذي يحدد نمط وأساليب الحياة الاجتماعية، وسياق التعامل والتعاطي بين أفراد هذا المجتمع، وكذلك تبيّن المعايير العامة للعقل الجمعي السائد، لم يكن من الهيّن أبداً جعل هكذا مجتمع قبلي يترك العصبية القبلية التي تربى وترعرع عليها قروناً، أن ينقاد ويرضخ لمنطق مختلف ومغاير تماماً لما كان عليه.

ذكرت المصادر التأريخية وهي تصف المجتمع الجاهلي: «إنهم متنابذون يغزون بعضهم بعضاً، مقاتلون يقاتلون غيرهم كما يقاتلون بعضهم بعضاً، يده على الكل، ويد الكل عليه. يغيرون على القوافل فيسلبونها ويأخذون أصحابها أسرى، يبيعونهم في أسواق النخاسة، أو يسترقّونهم فيتخذونهم خدماً ورقيقاً يقومون بما يؤمرون به من أعمال، إلى غير ذلك من نعوت وصفات.»(١)

وتستطرد المصادر التأريخية نفسها لتتحدث عن قساوة البيئة في الجزيرة العربية عندما تقول: «وقد فزع جيش «أسرحدون» في أثناء اختراقه البادية

من كثرة الثعابين والحيات التي كانت تثور عليهم وتقفز أمامهم، كما يقول نص «أسرحدون». وذكر أن من بينها ثعابين ذات رأسين، وأن من بينها ما له جناح فيطير. ولما مر الجيش بأرض «بوزو» «بازو» «Bazu» «Bozu»، وجد الأرض مغطاة بالثعابين والعقارب، وهي في كثرتها مثل الذباب والبعوض. والظاهر أن البوادي كانت منازل طيبة للثعابين. ونذكر على سبيل المثال هنا تذمّر الإسرائيليين من «الثعابين الطائرة» وفزعهم منها عندما كانوا يقطعون البوادي والفيافي في طريقهم إلى فلسطين. وقد أفزعت السياح المحدثين والمستشرقين، ومنهم «لورنس» الذي هاله ما رأى من كثرة الثعابين في الأماكن التي نزل بها وفي جملتها «وادي السرحان».(٢)

وقد كانت الروابط الداخلية ونمط العلاقات الاجتماعية السائدة تخضع للظروف والأوضاع والمتغيرات و«إن التغييرات الناشئة عن تبدل أشكال ملكية وسائل الإنتاج؛ قد أحدثت تبدلات في البنية الاجتماعية للمجتمع القبلي الجاهلي، أبرزها ما حدث من تغير في نوعية الروابط الداخلية المكونة للأحداث القبلية والتي أفضت إلى تفكك رابطة الدم والنسب بين أبناء القبيلة الواحدة والدخول في إطار توحيدي، نتج عنه تشكيل تحالفات سياسية قبلية كبرى على أساس المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية بين مجموعات من القبائل بدلاً من التجمعات الصغيرة»(٣). وقد كانت الأوضاع الاجتماعية في الجزيرة العربية تهيمن عليها قساوة البيئة وتؤثر عليها بقوة من حيث دفعها باتجاهات وسياقات سلبية. ولعل ما قد نسب إلى «كسرى» من مآخذ زعم أنه أخذها على العرب، هو أنه «نظر فوجد أن لكل أمة من الأمم ميزة وصفة، فوجد للروم

حظّاً في اجتماع الألفة وعظم السلطان وكثرة المدائن ووثيق البنيان، وأن لهم ديناً يبيّن حلالهم وحرامهم ويرد سفيههم ويقوّم جاهلهم، ورأى للهند، نحواً من ذلك في حكمتها وطبّها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعاتها ودقيق حسابها وكثرة عددها. ووجد للصين كثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وأن لها ملكاً يجمعها، وأن للترك والخزر، على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ملوكاً تضم قواصيهم وتدبّر أمرهم. ولم ير للعرب ديناً ولا حزماً ولا قوة. همتهم ضعيفة بدليل سكنهم في بوادٍ قفراء، ورضاهم بالعيش البسيط، والقوت الشحيح، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة. أفضل طعامهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها. «وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكرمة. وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم». ثم إنهم مع قلتهم وفاقتهم وبؤس حالهم، يفتخرون بأنفسهم، ويتطاولون على غيرهم وينزلون أنفسهم فوق مراتب الناس. «حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين»، وأبوا الانقياد لرجل واحد منهم يسوسهم ويجمعهم. إذا عاهدوا فغير وافين. سلاحهم كلامهم، به يتفننون، وبكلامهم يتلاعبون. ليس لهم ميل إلى صنعة أوعمل ولا فن، لا صبر لهم، إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم، حاولوا جهدهم التغلب عليها، أما إذا وجدوها قوة منظمة هربوا مشتتين متبعثرين شراذم، يخضعون للغريب ويهابونه ويأخذون برأيه فيهم، ما دام قوياً، ويقبلون بمن ينصبه عليهم، ولا يقبلون بحكم واحد منهم، إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم.»(٤).

وينقل صاحب العقد الفريد رأي بعض الشعوبيين عن العرب في الجاهلية بقوله: «ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها، ويضم قواصيها، ويقمع ظالمها، وينهى سفيهها، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة، ولا أثر في فلسفة، إلا ما كان من الشعر»(٥).

والذي يبدو واضحاً أن هناك ما يمكن وصفه بالتشابه في وجهات نظر ورؤى المؤرخين والملمّين بالأمور المتعلقة بالجزيرة العربية قبل الإسلام من الناحية الاجتماعية، وقد أجاد أحمد أمين الوصف في كتابه «فجر الإسلام»، بهذا الصدد عندما ذكر: «إن العرب في الجزيرة كانوا قسمين: بدو وحضر، وإن البدو هم القسم الغالب. فقد كانوا ولا يزالون يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة، إنما يعيشون على ما تنتجه ماشيتهم. يأكلون لحومها بعد علاج بسيط، ويشربون ألبانها، ويلبسون أصوافها، ويتخذون منها مساكنهم، وإذا اشتد بهم الضيق أكلوا الضب واليربوع والوبر، وهم يعتمدون في تغذية ماشيتهم على الطبيعة: يخرجون بها في مواسم المطر إلى منابت الكلأ لترعى، فإذا انتهى الموسم عادوا إلى مواطنهم ينتظرون أن يحول الحول وينزل الغيث. وإذا احتاجوا إلى غير ما تنتجه ماشيتهم تعاملوا من طريق البدل، فكانوا يستبدلون بالماشية ونتاجها ما يتطلبون من تمر ولباس. ونوع آخر اتخذوه أيضاً وسيلة من وسائل العيش: وهو الغارة والسلب، يغيرون على قبيلة معادية. وكثيراً ما تكون المعاداة . فيأخذون جمالهم ويسبون نساءهم وأولادهم، وتتربص بهم القبيلة الأخرى ذلك فتفعل ما فعلوا، بل إذا لم يجدوا عدوّاً من غيرهم قاتلوا أنفسهم»(٦).

وعندما يتأمل المرء مليّاً في هكذا أوضاع اجتماعية قلقة وغير مستقرة وتفتقد الأمن من مختلف النواحي، فإنه لا بد أن يكوّن نظرة عن الشخصية العربية ببعديها الفردي والاجتماعي وكيفية تكوينها، التي تميل إلى السلبية أكثر وإلى التعامل مع الواقع الموضوعي بنمط ونهج يغلب عليه القسوة والعنف، ذلك أن الأولوية في هكذا مجتمعات هي دائماً للقوة. وهنا ومع أنه لا يمكن إنكار حقيقة أنه كانت هنالك أيضاً قيم أخلاقية ذات تأثير قوي على مجتمع الجزيرة العربية، وكان الشعراء يتغنون بها ويتفاخرون بالتمسك بها، لكن هذه القيم لم تكن مدعومة بسلطة أو قانون أو أية ركائز تجعل منها فوق الجميع وتجعل ممن يفكر بانتهاكها أو خرقها يواجه عقوبة رادعة. ولذلك فقد كانت العقلية القبلية المحكومة بالتعصب والمصالح الضيقة هي التي تسيطر وتهيمن على هذه المجتمعات، وبذلك تجعل من الخوف وعدم الأمان هما القاعدة فيها.

اختلاف أنماط الحياة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً بين المناطق الحضرية التي تحكمها سلطة سياسية، والمناطق البدوية التي تخضع لحكم زعماء القبيلة، أفرزت فئات اجتماعية متفاوتة في الإمكانيات والمواقع والمكانة، حيث نجم عن ذلك ثلاثة أصناف اجتماعية هي:

- صنف أو فئة الأغنياء والميسورين وتضم الملوك ومسؤولي الدولة، وهم يمثلون قمة الهرم الاجتماعي، وينعمون بحياة الترف والغنى، ويسيطرون على السلطة والحكم والثروة، ومنهم فئة التجار والأثرياء وموظفي الدولة، من قادة الجنود وغيرهم.

- صنف أو فئة الفقراء والمساكين: وتتكوّن من عامة الناس من الأجراء والجنود والمستخدمين.

- صنف أو فئة العبيد: وهم يشكلون قاعدة وأساس هذا المجتمع وتتكوّن من العبيد وفاقدي الحرية.

أما فيما يتعلق بالمجتمع البدوي، فإنه لا يمكن الحديث فيه عن نظام سياسي، لغياب الدولة والقيادة السياسية الحاكمة، ولكون المجتمع البدوي يشكل الغالبية العظمى من مجتمع الجزيرة العربية، فإن تأثيره كان الأكبر، وذلك أنه يكوّن القاعدة العامة، ولذلك فإن التصدي لعملية إحداث التغيير في هكذا مجتمع لا بد من أن يمنح الأولوية للأغلبية وليس للأقلية. ولهذا فقد وجّه الإسلام خطابه إلى المجتمع البدوي لكي يؤسس لعملية التغيير التي ينشدها من أجل بناء مجتمع إنساني متحضر يؤمن بقيم وأفكار نبيلة وهادفة تخدم الأجيال اللاحقة.

ولكي نعطي صورة وانطباعاً أوضح عن المكوّن الاجتماعي في العصر الجاهلي، فمن الضروري هنا أن نسلط الأضواء على شكل التركيب الاجتماعي، ذلك أن القبيلة العربية متحضرة كانت أو متبدية، لم تكن طبقة واحدة، ولا كان أفرادها جميعاً متساوين في الحقوق والواجبات.

فقد كان منهم الصرحاء، وهم الذين يولدون من أب عربي وأم عربية، والذين يضربون بأنسابهم إلى جذم القبيلة، أو إلى أصلها الذي تنتهي إليه، وتتسمى باسمه أو بلقبه، وكان منهم الموالي، وهم أربعة أصناف:

الحليف: وهو المقيم في القبيلة بصفة دائمة.

والمجار: وهوالمقيم فيها بصفة مؤقتة. وهذان الصنفان من الأحرار الذين لا تجري في عروقهم دماء القبيلة، ولا يحملون نسبها، وإنما لجؤوا إليها؛ التماساً للأمن، أو طلباً للحماية، أو هرباً من ثأر، أو طمعاً في وطر، إلى غير ذلك من شتى ضرورات الحياة. ويبقى الصنفان الآخران، وهما:

العتيق: وهو من حرّره سيده بمال، أو لعمل جليل قام به في السلم أو الحرب.

والهجين: وهو ابن العربي من جاريته البيضاء، فإن كانت أمه سوداء، فهو الغراب، ولا جدال في أن الصرحاء من أبناء القبيلة قد كانوا هم السادة والقادة، وكانوا هم المتمتعين بكافة الحقوق التي كانت تقضي لهم بها تقاليد المجتمع العربي، وتخوّلها لهم أعرافه وسننه.

أما الموالي، فهم وإن كانوا في منزلة أدنى، ومكانة أقل، فقد كانت لهم حقوق، وكانت عليهم واجبات، وكانوا يختلفون في هذه وتلك تبعاً لاختلاف أقدارهم ومنازلهم، فليس الحليف كالمجار، وليس من يجري في عروقه الدم العربي - وإن لم يكن نقياً- كمن لا يجري في عروقه غير الدم الأعجمي.

على أن هذه الأصناف كلها كانت تحظى بحماية القبيلة، وتعيش تحت ظلال سيوفها ورماحها، وترى من العار الذي لا سبيل إلى احتماله أن تقصر في

الانتصار لصنف من هذه الأصناف، ومن القبائل من دفعها الاعتداد بالقوة إلى حماية كل من يدنو من أرضها، حتى ولو لم يأخذ منها عهداً بذلك، ومنها من بالغ في هذا حتى حمى الجراد والذئاب.

وتبقى طبقة أخيرة قد كانت إلى الحيوان أدنى منها إلى الإنسان، وهي طبقة الأرقاء من العبيد والإماء، وهؤلاء قد كانوا يصلون إلى القبائل من طريق الغارة والسلب، أو عن طريق الشراء من الأسواق، ولم يكن للرقيق سوى خدمة السادة، والسهر على مصالحهم في البادية والحاضرة على السواء.

وهذا المجتمع الذي أوجزنا طبقاته، أو أوجزنا أقسامه وأصنافه، هو المجتمع الغالب. وبعبارة أخرى: هو المجتمع المتمسك بالأعراف والتقاليد.

وهناك مجتمع آخر كان يعيش في شبه الجزيرة، وكان يرفض عاداتها وتقاليدها، وهو مجتمع الصعاليك. ويقول المؤرخون: إنه كان يتألف من الشذاذ وخلعاء القبائل، ومحترفي السطو والقتل، وكان مقره رؤوس الجبال، وموحش الفلوات، وكانت حياته قائمة على السلب والنهب، لا فرق عنده بين زمن وزمن، ولا بين موضع وموضع؛ فالأشهر الحرام وغيرها لديه سواء، وقصاد بيت الله وغيرهم لديه سواء كذلك، ولسنا ندري على وجه اليقين ما هي البواعث التي دفعت إلى تكوين هذا المجتمع المخرب، وهل هو شظف البادية وفقرها المدقع، أم هي قسوة عاداتها وصرامة أعرافها وتقاليدها؟

وعلى كل حال، فإن مجتمع الصعاليك هذا قد كان ضئيلاً، وكان إلى العرض الطارئ أقرب منه إلى الطبقة المستقرة.(٧)

وخير ما ذكره الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب، عندما خطب أمام النَّجاشي ملك الحبشة، حيث وصف أحوال الجاهلية، فقال: (**أيّها الملك، كُنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكلُ القويُّ نّا الضعيف، فكنّا على ذلك**).

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

نظراً لكون شبه الجزيرة العربية منطقة يغلب عليها التصحر، فإن الزراعة لم تكن واسعة النطاق وإنما كانت محصورة في مناطق محددة يمكن عدها بالأصابع، أما الرعي فإنه وبسبب كون شبه الجزيرة العربية منطقة يغلب عليها التصحر كما أسلفنا فإنها كانت تعاني من قلة الكلأ وندرة طاغية في العشب، فقد كان الرعي مهنة شاقة كانت تحتاج الكثير من المجهود ناهيك عن أنها لم تكن في قدرة أيٍّ كان. وقد أولى العرب اهتماماً ملفتاً للنظر بالتجارة، حيث كانت أهم وأفضل وسيلة للمعيشة وكسب الرزق، وكانت القوافل التجارية المتحركة شمالاً وجنوباً، صيفاً وشتاءً، إلى الشام واليمن تدل على ذلك. ناهيك عن أنهم كانوا يقيمون لتجارتهم أسواقاً ذاعت شهرتها، نظير سوق عكاظ، وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وغيرها. مع الإشارة إلى أن بعض هذه الأسواق كانت تشهد نشاطات فكرية وثقافية كما كان الحال مع سوق عكاظ، حيث كان ملتقى للشعراء البارزين.

التجارة في شبه الجزيرة العربية لم تكن أيضاً بتلك المهنة السهلة واليسيرة، إذ كانت أيضاً محفوفة بالأخطار والتهديدات وكانت مهنة مختصة بالمدن فقط، حيث إنها بالإضافة إلى أنها لم تكن نشيطة ورائجة بالصورة المطلوبة فإن الحروب المتواصلة والمستمرة والبالغة الشراسة والعنف بين القبائل العربية التي كانت متناثرة هنا وهناك، كانت تشكل خطراً كبيراً على التجارة وأسواقها، ولا سيما أيضاً الإغارة على القوافل وقطع الطرق عليها وسلبها ونهب حمولاتها، فلم تكن التجارة آمنة ولا يمكن لها أن تحقق مقاصدها المطلوبة سوى في الأشهر

الحرم. هذا من جانب، أما من جانب آخر، فإنه ونظراً لكون البادية تعتمد على الاقتصاد الرعوي، فإن القبائل العربية كانت تستقر في المناطق التي يتوفر فيها الماء ويكثر فيها الكلأ والعشب، وعندما يشح الماء فإن هذه القبائل تضطر مجبرة إلى مغادرة هذه المناطق إلى مناطق أخرى بحثاً عن الماء والكلأ والعشب لماشيتهم وقطعانهم.

المهنة الأخرى التي كان العرب يتعاطونها قبل الإسلام إلى جانب اليهود هي الربا، والتي كانت تشهد أيضاً عمليات استغلال تتجاوز الحدود المألوفة لها. وفي هذا الخضم فقد كانت لمكة منزلة ومكانة بين القبائل العربية المختلفة في شبه الجزيرة العربية بسبب كون الكعبة المشرفة موجودة فيها، وبسبب موقعها الجغرافي الحيوي في الجزيرة العربية، فإنها تمكنت من انتزاع مكانة تجارية مرموقة لها، نظراً لتحكمها بطرق التجارة بين اليمن والشام، حيث كانت القوافل المحملة بالتوابل والبخور والعطور وغيرها تمر بمكة التي استفادت من مكانتها الدينية لدى العرب في حماية القوافل التجارية وعقد «الإيلاف» مع القبائل التي تمر من خلالها.

ما يجدر ملاحظته وأخذه بنظر الاعتبار هو أنه لم يكن هنالك حدود وسطية واعتدالية في مجمل تلك الظروف والأوضاع التي كانت سائدة قبل وأثناء مجيء الإسلام، فمن الناحية الاجتماعية كانت العبودية والرق حالة سائدة بأبشع صورها وقد كان الإجحاف فيها موغلاً في تجاهل أبسط القيم والمبادئ الإنسانية من حيث الرحمة والشفقة، والأنكى من ذلك أنه بالإضافة إلى أن وأد البنات كان عرفاً سائداً في شبه الجزيرة العربية فإنه كانت هناك أيضاً حالة شاذة

وغريبة من نوعها من حيث التطرف والغلو في الاستخفاف بالكرامة الإنسانية للمرأة عندما كان الابن يرث عن أبيه نساءه، وهذا قمة الغلو والتطرف والاستهانة بكل المعاني والقيم الإنسانية.

أما من الناحية الاقتصادية، فإن الاستغلال كان بمثابة الظاهرة التي تفرض نفسها بقوة، ولا سيما من حيث أخذ الربا بصورة ملفتة للنظر، لكن الذي يجب ملاحظته وأخذه بنظر الاعتبار، هو أنه ولأسباب مختلفة تتعلق بالبيئة الصحراوية وغيرها، فإن الفقر كان متفشياً في الجزيرة العربية، وكما هو معروف فإن الفقر يمثل القاعدة والأرضية المناسبة للجهل والتخلف والأمراض والكثير من الانحرافات الاجتماعية، ولم يكن بمقدور اقتصاد تلك الفترة وأساليبه البدائية من أن يساهم في تحسين أوضاع الفقراء والمعوزين.

ثالثاً: الأوضاع السياسية والفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

الحديث فيما يتعلق بالنظام السياسي العام في الجزيرة العربية قبل الإسلام والذي هو نظام اجتماعي وظيفته إدارة موارد المجتمع استناداً إلى سلطة مخوّلة له، تحقق الصالح العام عن طريق سنّ وتفعيل السياسات، وقد كانت القبيلة بتشكيلاتها وقيمها هي الأساس الذي تقوم عليه الحياة السياسية وحتى الاجتماعية فيها أيضاً، وسادت هذه القيم معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية.

ومن أهم مظاهر الحكم في المجتمع العربي القبلي قبل الإسلام الرئاسة، حيث كانت قاعدة الحكم عند أهل الوبر، ويقابلها الملكية عند أهل المدر. فلرئيس القبيلة امتيازات تميزه عن سائر رجالها، تبدأ بالبيت الكبير المكوّن من خيمة ضخمة، يجتمع فيها سادات القوم، وخيم أخرى خاصة بحريمه، حيث امتاز رئيس القبيلة بكثرة نسائه، بالأخص الصغيرات السن، لينجب منهن أولاداً يكونون حصناً له.(٨) ومع أن مفهوم رئاسة القبيلة شائع إلا أنه لا توجد نصوص جاهلية ولا روايات أهل الأخبار ما تورد الشروط اللازمة في رئيس القبيلة، ولا حتى عن كونها وراثية، ولكن الوراثة جاءت لكون جميع الرئاسات كانت كذلك عند العرب.(٩)

وقد لعب النسب الذي عدّ جرثومة العصبية وأساسها دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب ، ولهذا حرص العربي على حفظ نسبه ولا يزال يحرص عليه، والنسب حسب رأي أهل اللغة: القرابة، أو هو في الآباء خاصة، والبيت هو الأب، ولما كان المجتمع مجتمع بيوت، صار النظام فيه

نظاماً أبوياً، وبما أن القبيلة أيضاً في عرف اللغة تعد من أب واحد، إذن فهي مجموعة من الناس تضم طوائف أصغر منها، وهي تنتمي كلها إلى أصل واحد وجذر راسخ لها نسب مشترك متصل بأب واحد.(١٠)

ومن الأعراف ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية الخطيرة، التي كانت تسود الاجتماع العربي الأخذ بالثأر (**الدم لا يغسل إلا بالدم**)، حيث شكلت هذه الظاهرة أحد أهم معالم النظام الاجتماعي لديهم، وكانت ذات تأثير حتى على السياسة العامة، حتى بعد مجيء الإسلام. وقد واجهت القبيلة قبل الإسلام مشاكل وظروفاً عصيبة كثيرة منها النزاعات المستمرة والاقتتال الدائم لأسباب عديدة، تافهة أحياناً. ولعل أبرزها مشاكل الحدود التي لم تكن ثابتة.(١١)

كما أن النظام الطبقي وجد في الاجتماع العربي والمفاخرة باللون، والنسب، ومما يجدر الإشارة إليه هو أن كل رئيس قبيلة كان يرى في نفسه سلطة مستقلة عن القبائل الأخرى حتى داخل المدينة الواحدة، كما في مكة.(١٢)

الفصل الثاني:

التطرف والإرهاب
عبر التاريخ الإسلامي

التطرف والإرهاب عبر التاريخ الإسلامي

الحديث عن الجذور التأريخية للتطرف والإرهاب، يتطلب بالضرورة تسليط الأضواء على بعض من حركات التمرد والثورات المختلفة التي وقعت في فترات ومراحل مختلفة من التأريخ العربي الإسلامي، حيث إننا وكما سنرى ونلاحظ، فإنها شكلت الأرضية والمناخ المناسب لشيوع وانتشار أفكار ومبادئ التطرف والغلو والدعوة لها، والذي يجب أن نتمعن فيه بدقة ونأخذه بعين الاعتبار هو أن حركات التمرد والثورة والخروج على الخلفاء وأولي الأمر والطاعة، قد شددت على أنها تمثل وتجسد الإسلام الصحيح والحقيقي وأنها خرجت على الباطل، ولأن الكثير من المراحل التاريخية شهدت ممارسات وأعمال خاطئة من جانب الحكام المسلمين واندلعت حركات التمرد تلك ضدها. فقد حدث تمويه وخلط والتباس لدى الأمة لا تزال تمتد آثاره إلى يومنا هذا، إذ تم خلط الحق بالباطل بل وحتى الباطل ببعضه من أجل إحقاق الحق، وهذا هو أسّ البلاء وجوهره.

مع أن التاريخ العربي الإسلامي يحفل بقائمة طويلة وعريضة من الثورات

وحركات التمرد والعصيان ذات الصلة بقضية التطرف والإرهاب، إلا أننا سوف نسعى لتناول ثلاث من حركات التمرد والثورة والخروج الرئيسة والبارزة على الخلفاء وأولي الأمر والطاعة، تبعاً لأهميتها وتأثيراتها وتداعياتها التي خلفتها فيما بعدها، ومن خلالها نستشف ونحدد تلك الجذور.

١ ـ حركة الخوارج:

حركة الخوارج، التي هي بالأساس فرقة كلامية إسلامية، نشأت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وبداية عهد الخليفة علي بن أبي طالب، وقد ساعدت الخلافات السياسية والفئوية العاصفة التي حدثت في عهد الأخير هذه الفرقة التي تمادت وغالت كثيراً في آرائها وأفكارها وتعصبت لها إلى أبعد حد، أعلنوا براءتهم ورفضهم للخليفة عثمان بن عفان والإمام علي بن أبي طالب والحكام من بني أمية. وقد كانوا يكفرون مرتكبي المعاصي بشدة، وقد وصل تطرفهم إلى حد أنهم يرون من شرب الخمر ومن زنى ومن عقّ والديه كفاراً، ويكفرون بالذنوب. هذه الفرقة التي نال المسلمون من شرها الكثير الكثير بحيث لا يمكن مقايسة ومقارنة ما قد نالوه على أياديهم من مصائب وبلاء ودمار، وما أريق من دماء، بما قد طال المسلمين على يد أعداء الإسلام في الفترة نفسها والفترات التي تلتها.

ومع أنه قد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ، أحاديث شريفة بشأن الخوارج منها: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من**

الإسلام مروق السهم من الرمية»، و«**اقتلوهم حيث وجدتوهم، فإن في قتلهم خيراً كثيراً وهم كلاب أهل النار**»، لكن وعلى الرغم من ذلك ومن أنه قد ثبت بالإجماع على أنهم إحدى الفرق الضالة المارقة، غير أنه كان هنالك اختلاف بشأنهم بين أصحاب الرأي من أهل العلم، حيث قال الزرقاني في شرح الموطأ: «قال إسماعيل القاضي: رأى مالك قتل الخوارج وأهل القدر للفساد الداخل في الدين، وهو من باب الإفساد في الأرض، وليس إفسادهم بدون إفساد قطاع الطريق والمحاربين المسلمين على أموالهم، فوجب بذلك قتلهم، لكنه يرى استتابتهم لعلهم يراجعون الحق، فإن تمادوا قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم، وهذا قول عامة الفقهاء الذين يرون قتلهم واستتابتهم. وذهب أبو حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من المحدثين إلى أنه لا يتعرض لهم باستتابة وغيرها ما استتروا ولم يبغوا ولم يحاربوا. وقالت طائفة من المحدثين: هم كفار على ظواهر الأحاديث، ولكن يعارضها غيرها في من لا يشرك بالله شيئاً ويريد بعمله وجهه، وإن أخطأ في حكمه واجتهاده، والنظر يشهد أن الكفر لا يكون إلا بضد الحال التي يكون بها الإيمان فهما ضرتان».

أما الخطابي فقد بالغ عندما قال: «أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وقبول شهادتهم». وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في المطلب الحميد: «الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون المحققون أن الخوارج لا يكفرون». في حين جاء في الموسوعة الفقهية: أكثر الفقهاء يرون أنهم بغاة، ولا يرون تكفيرهم، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون، وقال ابن المنذر: لا أعلم أحداً

وافق أهل الحديث على تكفيرهم، وذكر ابن عبد البر أن الإمام عليّاً - رضي الله عنه - سئل عنهم: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: **هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا وصموا، وبغوا علينا، وقاتلوا فقاتلناهم، وقال لهم: لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نبدؤكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا**». وهذا الاختلاف الذي نراه واضحاً في الآراء ووجهات النظر بشأن الخوارج، مضافاً إليها الممارسات الخاطئة لحكام المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين، قد مهدت الأرضية والأجواء المناسبة لنشوء واستمرار هكذا اتجاهات منحرفة ضالة تشغل المسلمين ببعضهم وتصرفهم ليس عن أعدائهم فقط وإنما حتى عن الاهتمام بأمورهم وصلاحهم.

فرقة الخوارج التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب، بعد حادثة التحكيم المشهورة، استفادت من الاختلاف والتباين الذي حصل بشأن الموقف منها، ولا سيما من حيث تكفيرها انقسمت وتشعبت رويداً رويداً، ومع مرور الزمن إلى العديد من الفرق والجماعات، وقد اختلفت المصادر في صنوفهم، فقد عدد لهم الفخر الرازي إحدى وعشرين فرقة، بينما جمعهم الأشعري في أربع فرق، إلا أن الملطي حددهم بعشر فرق، ونحن نميل أكثر مع رأيه، ويعتبر الملطي(٣٧٧ هجرية - ٩٨٧ ميلادية)، وكتابه من أقدم المصادر للفرق الإسلامية، وندرج أدناه الفرق العشر التي حددها للخوارج:

الأولى: المحكمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم إلى الأسواق ويجمعون

الناس منادين بشعارهم الشهير (**لا حكم إلا لله**) ثم يضربون الناس بسيوفهم فيقتلون من يلحقون به ولا يزالون يقتلون حتى يقتلوا، ولهذا خشيهم الناس.

وهم في دفاعهم عن هذا المبدأ (**لا حكم إلا لله**) يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لأحد من الناس إلا بالغة، ولهذا السبب لا يحكمون بينهم حكماً، فلما حكم أبو موسى الأشعري بين علي ومعاوية، ثم قام بخلع علي، كفروهم لأنهم حسب اعتقادهم جعلوا الحكم لأبي موسى الأشعري وينبغي ألا يكون هناك حكم إلا لله تعالى... وكلهم يكفرون أصحاب المعاصي، ومن اختلف معهم في مذهبهم.

الثانية: وهم الأفارقة والعمرية أصحاب عبد الله بن الأزرق، ويرجع الشيخ الكوثري التسمية الصحيحة لهذا الشخص أي نافع بن الأزرق، وأتباع عمر ابن قتادة.

وهؤلاء أقل الخوارج شرّاً لأنهم لا يرون إهراق دماء المسلمين، ولا غنم أموالهم ولا سبي أولادهم، ويعتقدون أن المعاصي كفر، ويتبرؤون من عثمان وعلي إلا أنهم يتولون أبا بكر وعمر، وهم ورعون مجتهدون قوامون بالليل لعبادة الله.

الثالثة: أصحاب شبيب الخارجي الذي خرج على الحجاج بن يوسف وكان لا يقتل أحداً ولا يشي ولا يستحل شيئاً مما حرم الله إلا ما يستحله من الحجاج وأصحابه فقط، ولكنه مع هذا كفر السلف والخلف متبرئاً من عثمان وعلي مع توليه للشيخين. وقد تفرق أصحابه بعد وفاته.

الرابعة: هم النجدية (**أو النجدات**) أصحاب نجدة الحروري، وهو أيضاً ممن يكفرون السلف والخلف.

الخامسة: الصفرية وهم أتباع المهلب بن أبي صفرة، ويرجع الشيخ الكوثري تصحيح الاسم إلى زياد بن الأصفر، وقد خرجوا أيضاً على الحجاج، ولكنهم لم يؤذوا الناس ولم يكفروا الأمة ولم يقولوا بشيء من قول الفرق التي تقدم ذكرها.

السادسة: الحرورية الذين يكفرون الأمة ويتولون الشيخين ويتبرؤون من الشيخين (**عثمان وعلي**) ويسبون ويستحلون الأموال والفرو، ويستمدون الأحكام من القرآن فحسب غير قائلين بالسُّنة أصلاً.

السابعة: الحمزية نسبة إلى حمزة الخارجي، وهم يشبهون الحرورية في معتقداتهم غير أنهم لا يستحلون أخذ مال أحد إلا بالقتل فإن لم يجدوا أصحاب المال لم يأخذوا من المال شيئاً. فإذا ظهر صاحبه قتلوه واستحلوا المال حينئذٍ.

الثامنة: الصلتية وهم أصحاب الصلت بن عثمان، ويشتركون مع الفرقتين السابقتين في شريعتهما، وهم أكثر الخوارج شرّاً وأكثرهم فساداً لأنهم يقتلون غيرهم من المسلمين ويستحلون الأموال في جميع الأحوال.

التاسعة: وهم الشراة الذين يكفرون أصحاب المعاصي في الأفعال الصغيرة والكبيرة يتبرؤون من عثمان وعلي ويتولون الشيخين.

وقفة مع وصية للإمام علي بن أبي طالب بخصوص التعامل مع الخوارج:

الخوارج بما شكلوه من خطر وتهديد كبير على الإسلام والمسلمين من النواحي الفكرية والسياسية والاجتماعية، خصوصاً وأنهم كانوا يوظفون القرآن الكريم كوسيلة أساسية لهم لشرح أهدافهم وبلوغ غاياتهم، فلم يكن من السهل التعامل معهم ومحاججتهم بهذا الصدد، خصوصاً وأنهم فرقة كلامية لا تكلّ ولا تملّ ولا تكفّ عن المحاججة، ولذلك فإن الرأي الذي طرحه الإمام علي بن أبي طالب، للتعامل والتعاطي مع الخوارج كانت الأفضل والأمثل والأكثر واقعية، عندما قال في وصية له لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج: «**لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون... ولكن حاججهم بالسُّنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً**»(١٣).

وهنا يكمن وجه الإشكال والجذر الأساسي لقضية التطرف والغلو، ذلك أن الاعتماد والتعويل على نص قرآني من حيث حمله على محمل محدد لا مجال للنقاش والجدال بشأنه، يجعل قضية التوصل مع هكذا فرق وجماعات، أمراً مستحيلاً، وإن ما قد وصى به الإمام علي من محاججتهم بالسُّنة، فإنه يفتح الباب على مصراعيه لمحاججتهم عقليّاً وزحزحتهم عن نص جعلوه جامداً في عقولهم وأفكارهم فلا يستطيعون أن يدلفوا عن مساره ولو بخطوة واحدة. وقطعاً فإن وجه الخطأ الذي حدث واستمر هو أنه كانت تتم دائماً محاججة هذه الفرقة وغيرها من اللواتي سرن على مسارها أو شقين عصا الطاعة على الخليفة والحاكم الإسلامي، بنصوص قرآنية فيدخل الطرفان في معمعة لا

خروج منها. كما أن هناك ملاحظة هامة، وهي أن الاعتماد على تأويل آيات من القرآن الكريم وإدخالها مدخلاً أو مجرى معيناً، يحدث اختلافاً من الصعب جدّاً إيجاد حل ومخرج توافقي له، وأن من أخطر المسائل وأكثرها حساسية في قضية التطرف والإرهاب، لها علاقة وطيدة بهذا الأمر، ولذلك فإن لنا عودة في الفصول القادمة لهذا الموضوع.

٢ ـ ثورة الزنج:

ثورة الزنج(٢٥٥ - ٢٧٠ هجرية/ ٨٦٩ - ٨٨٣ ميلادية)، كانت من الثورات البارزة ضد الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي و«تمركزت حول مدينة البصرة، جنوب العراق اليوم، وامتدت لأكثر من ١٤ عاماً (٨٦٩ - ٨٨٣م) قبل أن تنجح الدولة العباسية في هزيمتها، ويعتقد أن الحركة بدأت بزنوج من شرق أفريقيا استعبدوا وجيء بهم إلى تلك المنطقة، وامتدت لتضم العديد من المستعبدين والأحرار في مناطق عدة من الإمبراطورية الإسلامية. فكان الزنج قد ثاروا على المالكين وأسسوا حكومة لهم كان مقرها مدينة المختارة (جنوب البصرة)، وهددت الدولة العباسية حتى جندت كل إمكاناتها لتسحقها، فكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها.»(١٤) وتعود الأحداث إلى خلافة المهتدي بالله العباسي، وتحديداً إلى العام ٢٥٥هـ، وكانت منطقة البصرة وواسط تعج بآلاف الزنوج الأفريقيين الذين كانوا أرقاء أو أجراء لدى كبار الملاك في هذه المنطقة، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئاً، إنما القليل من الطعام، ولم يكن أسيادهم يعاملونهم المعاملة التي أمر بها الإسلام.(١٥) وإزاء الأوضاع السيئة التي كان يعيشها هؤلاء الزنوج اقتصادياً واجتماعياً، رأى البعض أن بإمكانه استغلالهم، واستغلال ظروفهم لمهاجمة الدولة العباسية، ومحاربة المسلمين من أهل تلك المناطق، وتحقيق أهداف مشبوهة، وهذا ما حدث على يد **(صاحب الزنج)** الذي كان يعرف بالبرقعي، وهو مجهول النسب، قيل إن اسمه علي بن محمد

بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، وقيل إنه فارسي. وقد ولد في إحدى قرى الري (**طهران**) يقال لها ورزنين.(١٦) وادعى صاحب الزنج انتسابه إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو شأن أصحاب المذاهب المنحرفة الذين يدعون انتسابهم إلى أهل البيت للتقرب من المسلمين، ففي بغداد زعم أنه من ولد زين العابدين وأن اسمه هو «علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب». وزعم عندما كان في البحرين أن اسمه «علي بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب». وبعد تخريبه البصرة انتسب إلى يحيى بن زيد بن علي. وقد طعن المؤرخون بانتسابه إلى آل البيت ومنهم العلامة ابن خلدون، ورجح بعضهم أن يكون فارسياً.(١٧)

ولم يكن الزنج بأفضل من الخوارج من حيث رأفتهم ورفقهم بالمسلمين، بل إنهم قد تمادوا أكثر منهم، ومع أن ثورة الزنج كانت في أساسها ثورة جياع ومحرومين ولها ما يبررها، لكنها وبعد فترة وجيزة خرجت عن مسارها ومنحاها الأساسي لتصبح أسيرة بيد زعيم الزنج.

ولأن هذه الثورة قد بدأت في عهد الخليفة «المعتمد على الله»، وظهرت دعوة جادة إلى إخماد هذه الفتنة، وإعادة سلطان الخليفة العباسي إلى ما كان عليه، وساعده على ذلك أنه استعان بأخيه «الموفق» الذي ولاه قيادة الجيش، وكان «الموفق» يتمتع بشخصية قوية ومقدرة عسكرية ممتازة وهمة عالية وعزيمة لا تلين، فسيطر على زمام الأمور السياسية والإدارية، حتى صار الخليفة لا سلطان له أمام نفوذ أخيه، فكان للمعتمد الخطبة والتسمي بأمير المؤمنين، ولأخيه

الأمر والنهي وقيادة العسكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء. (١٨) وفي سنة ٢٥٨هـ خرج «الموفق» في جيش كثيف في عَدد وعُدد فاقتتلوا هم والزنج قتالاً شديداً، وفيها أسر «يحيى بن محمد البحراني» أحد أمراء الزنج الكبار وحمل إلى سامراء فضرب بين يدي المعتمد مئتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم أخذ بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق.(١٩)

واستمرت المعارك بين الزنج و«**الموفق**» لسنوات حتى دخلت سنة: ٢٦٧هـ فأرسل «الموفق» ولده «أبا العباس» على جيش يقدر بنحو عشرة آلاف فارس وراجل في أحسن هيئة لقتال الزنج فحصل بينهم معارك طاحنة استرجع خلالها «أبو العباس» بلاد واسط وأراضي دجلة من أيدي الزنج. وفي شهر صفر من هذه السنة سار «الموفق» بنفسه في جيوش كثيفة فدخل واسط في ربيع الأول منها فتلقاه ابنه فسار «الموفق» بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج وهو بالمدينة التي أنشأها وسماها «المنيعة» فقاتل الزنج دونها قتالاً شديداً فقهرهم «**الموفق**» ودخلها عنوة وهربوا منها، فبعث في آثارهم جيشاً فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون وغنم من «المنيعة» أموالاً طائلة، واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة مسلمة كانت بيد الزنج وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط، وأمر بهدم سور البلد وبطم خندقها وجعلها بلقعاً بعد ما كانت للشر مجمعاً(٢٠).

ثم سار «**الموفق**» إلى بلدة صاحب الزنج الثانية واسمها «**المنصورة**» وبها «سليمان بن جامع» قائد الزنج، فحاصروها وقاتلوه دونها فقتل خلق كثير من الفريقين، ورمى «أبو العباس بن الموفق» بسهم «**أحمد بن هندي**» أحد أمراء

الزنج فأصابه في دماغه فقتله، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج، وأصبح المسلمون محاصرين مدينة الزنج والجيوش الموفقية مرتبة أحسن ترتيب، فتقدم «الموفق» فصلى أربع ركعات وابتهل إلى الله في الدعاء، واجتهد في حصارها فهزم الله مقاتلتها، وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حصن غاية التحصين وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار، فجعل كلما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر فيقهرهم ويجوز إلى الذي يليه، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلقاً كثيراً وهرب بقيتهم، واستنقذ من «المنصورة» من بأيديهم من النساء المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة نحواً من عشرة آلاف نسمة، فسيرهم إلى أهليهم -جزاه الله خيراً-، ثم أمر بردم خنادقها وهدم أسوارها وأقام بها سبعة عشر يوماً وبعث في آثار من انهزم منهم وهرب صاحب الزنج إلى عاصمته «المختارة»، وكان «**الموفق**» يدعو الزنج إلى الرجوع إلى الحق والتوبة ويبذل لهم الأمان لمن عاد، ومن أبى قتله.(٢١)

ثورة الزنج التي خلطت بين العديد من الأفكار والعقائد المتناقضة، كان لا بد لها في نهاية المطاف أن تقع أسيرة بين فكي التطرف والإرهاب بأقسى وأبشع صورهما، خصوصاً وأن زعيم الزنج قد دعا إلى الأفكار والعقائد التالية:

«- إن العناية الإلهية أرسلته لإنقاذ الناس مما يعانون من بؤس.

- ادعى العلم بالغيب.

- انتحل النبوة وزعم أنه يخاطب من السماء وأن الملائكة تقاتل معه.

كما أنه قد سبى المسلمات وأشاع المنكرات وخرج على الخليفة وأعمل السيف في المسلمين.»(٢٢)

في حين ذكرت مصادر عديدة أن صاحب الزنج قد اعتنق عقائد الخوارج الأزارقة وهو ما أثار نقمة العلويين عليه لكون الخوارج كانوا ألد أعداء العلويين.

وفي خضم كل هذه الأمور والمجريات، وبعد أن صارت ثورة الزنج أسيرة تلك العقائد الخاطئة والأفكار المنحرفة وبعد أن تمادت في تطرفها وغالت في أساليبها الدموية، فكان لا بد لها من أن تنهار وتتجرع كأس الهزيمة، وإن أهم أسباب انهيار وفشل ثورة الزنج هي:

« ١- كانت ثورة الزنج حركة ضيقة لا تنطوي على برنامج دقيق ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار الواسع. وكان بقاؤها وقوتها منطويين بزعيمها واندفاع أتباعه العبيد من ناحية وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية ثانية. وهذا ما يفسر عدم رواج الدعوة بين الأحرار من أهل البصرة.

٢- إن اعتناق صاحب الزنج مبادئ الخوارج الأزارقة جلب عليه نقمة العلويين وبغضهم لأن الخوارج كانوا ألد أعداء الشيعة مما حدا بهؤلاء إلى عدم التعاون مع علي بن محمد.

٣- كانت ثورة الزنج قد قامت إبان ضعف الخلافة العباسية وتفسخ الإدارة والسياسة في العاصمة فأتاح هذا الضعف لصاحب الزنج أن ينشر دعوته في

المناطق الجنوبية من العراق، حيث لا توجد قوات كبيرة للدولة، فلما تولى الأمر أبو أحمد الموفق وكان شخصاً قوياً حازماً استطاع بعد فراغه من أعدائه الآخرين أن يركز جهوده نحو حركة الزنج فيقضي عليها قضاء مبرماً.

٤- كان الزنج قد لبوا دعوة علي بن محمد فراراً من وضعهم السيئ وأملاً في تحسين حالتهم الاجتماعية المزرية، فلما رأوا أن الحركة لم تسفر عن نتائج حاسمة وأن الموفق منحهم الأمان وأغدق عليهم الأموال هجروا زعيمهم والتحقوا بجيش العباسيين بعد أن وقعوا بالجوع وتعرضوا لخطر الموت.

٥- كان لشخصية الموفق أثر كبير في القضاء على هذه الحركة فقد استطاع أن يعبئ الجيوش الضخمة والقوات الكبيرة ويحشد الأموال والذخائر في الموفقية فيتمكن من أن يشل ثورة الزنج ويقضي عليها.

٦- إن الحصار الاقتصادي الذي ضربه الموفق على الزنج كان عاملاً مهماً في القضاء عليهم لأنهم في أيامهم الأخيرة أخذوا يقاسون من قلة الغذاء حتى إن الأسير منهم على حد قول الطبري كان يسأل عن عهده بالخبز فيذكر أنه لم يذقه من سنة. ويغالي المؤرخون فيقولون إنهم أكلوا لحوم الناس بل ولحوم الموتى. وهذا الضيق دفع الكثيرين منهم إلى أن يهجروا معسكرهم مستأمنين إلى الموفق حتى إن صاحب الزنج وجد نفسه في أيامه الأخيرة في شرذمة قليلة من أتباعه وكان هذا عاملاً أساسياً من عوامل إخفاق الثورة.

٧- لم تكن ثورة الزنج خروجاً على الدولة والنظام القائم فحسب، بل خروج على الدين كذلك في نظر المعاصرين، لذلك تطوع آلاف الناس لحرب الزنج

من العراق وفارس والبحرين، وهذا هو الطابع الذي انطبعت به كل الحركات التي قامت آنذاك فنظر إليها الأتقياء والمتدينون نظرة سخط ومقت ووصموها بالزندقة والزيغ ومخالفة الدين.

٨- كان جيش العباسيين يقوم على تنظيمات عسكرية دقيقة وأسلحة متنوعة ويتمتع بتدريب جيد وتغذية حسنة، في حين كان أسلوب الزنج أشبه بحرب العصابات لا تقدر إلا على الهجوم الخاطف القائم على السرعة وبث الكمائن، لذلك كانت أنجح غاراتهم هي الغارات الليلية، ونادراً ما قام الزنج بهجوم منظم ووقفوا وجهاً لوجه أمام الجيش العباسي.

٩- كان طول المدة التي استغرقتها الثورة عاملاً مهماً في عدم نجاحها لأن الزنج فقدوا كثيراً من قواتهم كما لقوا مقاومة من أهالي جنوب العراق فضلاً عن مقاومة الدولة .

١٠- إن سعة المنطقة التي احتلها الزنج أدت إلى بعثرة قواتهم هنا وهناك وإلى تفريق حاميات ضئيلة العدد في كل مركز احتلوه، وهذا عامل مهم أيضاً في إخفاق الثورة فقد تعذر على صاحب الزنج تركيز قواته في الأماكن التي يتطلبها الموقف العسكري.

١١- إن الأضرار التي تعرض لها أهل المدن التي احتلها الزنج زادت من ضراوة مقاومتهم للثورة وقد زاد من عداء الأهالي أن الزنج كانوا من عبيدهم فشق عليهم أن يغدوا سادة لهم.»(٢٣)

٣ ـ حركة القرامطة:

كما رفعت ثورة الزنج أفكاراً ومبادئ ذات توجهات دينية محددة من أجل جمع الناس حولها، فإن القرامطة أيضاً ساروا بالاتجاه نفسه لكن مع اختلاف في الأسلوب والنمط، وقد رفع القرامطة آية كريمة من القرآن كشعار لهم، هي: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ القصص: ٥، وقد جاءت حركة أو ثورة القرامطة على أثر ظروف وأوضاع اقتصادية ومعيشية بالغة السوء، ذلك أنه وكما يتحدث (مسكويه) في كتابه «تجارب الأمم» فيقول إن: «الإقطاع العسكري أصبح من أهم سمات هذا العصر، ذلك أن ضعف الخلافة، وتقلص نفوذها تسبب في نقص أموال الدولة، وهو أمر ساعد عليه دهاء الأتراك بما جبلوا عليه من تخلف حضاري، ولم تجد الخلافة مناصاً من منح الجند إقطاعات من الأرض نظير قيامهم بالخدمة العسكرية... وأوكل هؤلاء إدارة أراضيهم إلى طائفة من «الدهاقنة» من الفرس، فأسرفوا في تسخير الفلاحين والعبيد، كما خسر الكثير من الفلاحين أراضيهم لصالح رجال الدولة وأصحاب النفوذ، الذين كانوا يسبغون حمايتهم على أراضي الفلاحين اتقاء لظلم الجباة، بأن يسجلوا الأراضي – من الملكيات الصغيرة – بأسمائهم، نظير مبلغ معين من المال، فيما عرف بنظام الإلجاء، وبمرور الوقت ازداد طمع الحماة، فلم يكتفوا بالأموال التي كانت تؤدى إليهم، واستولوا على الأراضي، وتحول أصحابها الأصليون بذلك إلى مجرد مزارعين أجراء بها. وإلى جانب هذا النوع من الإقطاع ظهرت

طبقة مستغلة أخرى من كبار التجار، وثيقة الصلة برؤساء الترك، ورجال الإدارة، والقواد، وعسر الحال بالناس.

ومن المعروف أن الدعوة القرمطية اصطبغت بطابع ديني مذهبي (إسماعيلي) ككل الدعوات التي قامت في هذا العصر، فقرمط الذي نسبت إليه الحركة كان في الحقيقة هو المؤسس الثاني لها، أما المؤسس الأول فهو الداعية الإسماعيلي الحسين الأهوازي، الذي تتلمذ قرمط على يديه، وخلفه على زعامة الحركة، لكن الدعوة بالأساس كانت دعوة اجتماعية، لذا فقد استطاعت في وقت قصير – نتيجة للأوضاع التي شرحناها – أن تنتشر في المساحة الممتدة من فارس إلى المغرب، وتنشأ كيانات سياسية بمصر، واليمن، والمغرب، والبحرين».(٢٤)

أفكار ومعتقدات القرامطة:

الأفكار والمعتقدات التي نادى بها القرامطة وعلى الرغم من الشعار الرئيس الذي رفعوه وهو الآية القرآنية الكريمة، إلا أنها كانت خليطاً ومزيجاً عجيباً من الرؤى والتوجهات والمبادئ ليس المتباينة فقط وإنما المتناقضة أيضاً، ويمكننا إدراجها بما يلي:

« – حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم.

- ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.

- يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة، فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه، وأشاعوا أن ذلك يعمل على زيادة الألفة والمحبة (**وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل**).

- إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى..استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.

- يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد. (٢٥) . ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعفاء النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.

- يقولون بالعصمة وإنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.

- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.

- النبي (٢٦): عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية

صافية...

- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.

- يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم.

- يقولون بوجود إلهين (٢٧) قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وإن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم فلا هو موصوف ولا غير موصوف.

- يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.

- يقولون بالرجعة (٢٨)وإن علياً يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

- يعتقدون بأن الأئمة والأديان (٢٩) والأخلاق (٣٠) ليست إلا ضلالاً... يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية (٣١) والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه».

الجذور الفكرية والعقائدية لحركة القرامطة:

من خلال التدقيق والتمحيص في الأفكار والمبادئ التي سردنا ذكرها آنفاً، يتبين لنا أن الجذور الفكرية والعقائدية لها تتوضح على أنها:

١. فلسفتهم مادية(٣٢) تسربت إليها تعاليم الملحدين والمتآمرين من أئمة الفرس.

٢. تأثروا بمبادئ الخوارج(٣٣) الكلامية والسياسية ومذاهب الدهرية.

٣. يتعلقون بمذاهب الملحدين نظير مزدك وغيره.

٤. أساس معتقداتهم ترك العبادات والمحظورات وإقامة مجتمع يقوم على الإباحية والشيوع في النساء والأموال والممتلكات.

٥. فكرتهم الجوهرية هي حشد جمهور كبير من الأنصار ودفعهم إلى العمل لغاية يجهلونها.

والذي نريد أن نلفت الأنظار إليه ونقف عنده مليّاً، هو أننا نجد عند القرامطة كما عند ثورة الزنج، تأثيرات وتداعيات وامتدادات فكرية. عقائدية للخوارج عليهم، بمعنى أن هذا الفكر، وعلى الرغم من أنه قد تم القضاء على حركة الخوارج ودفع شرهم العسكري والسياسي والنفسي عن الأمة الإسلامية، لكن بقي تأثيرهم الفكري، والذي كما نراه يمتد ويمتد، ولعل ما قد أفصح عنه الإمام علي بن أبي طالب، عندما قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم،

فأجاب: «**كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، وكلما نجم منهم قرن، قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين**»(٣٤).

ذلك أنه يشير هنا تحديداً إلى امتداد تأثيرهم الفكري وإلى فساد تلك الأفكار وسيرها في دروب الضلالة والتيه، وإننا لو نتمعن في بدايات تأسيس وانطلاق ثورة الزنج وحركة القرامطة، لرأينا أنها تسير وفق منهج وسياق فكري واضح المعالم نوعاً ما، لكنها وفي نهاية المطاف، أي الفترات الأخيرة من عهديهما، نرى أنهم قد تبدلوا إلى لصوص وقتلة وشذاذ آفاق، والحق أن نهاية الغلو والتطرف وتجاوز الحدود والمقادير، لا مناص أبداً من أن تكون نهايته بهذه الصورة.

مواقع انتشار القرامطة وما اقترفوه من جرائم:

دامت حركة القرامطة قرابة ١٠٠ عام، وهي بدأت وانتشرت من جنوبي بلاد فارس وانتقلت إلى الكوفة والبصرة وإلى الأحساء والبحرين واليمن، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين. وهذا يجسد قوة دورهم وتأثيرهم خلال فترة انتشارهم ونفوذهم، لكن من الضروري جداً هنا أن نشير إلى تلك الجرائم البشعة التي ارتكبها القرامطة عام (٣١٧هجرية - ٩٠٨ ميلادية)، حينما أغاروا على المسجد الحرام وزرعوا الرعب بين الحجاج وقتلوا أعداداً كبيرة منهم وسرقوا الحجر الأسود من مكانه لمدة ٢٢ عاماً، وردّ إلى موضعه سنة ٣٣٩ هجرية، وفي ذلك العام وتحديداً يوم التروية، قام أبو طاهر القرمطي، ملك البحرين وزعيم القرامطة بغارة على مكة والناس محرمون، واقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر وقتل عدد كبير من الحجاج، وحاولوا أيضاً سرقة مقام إبراهيم ولكن أخفاه السدنة. وفي عام ٣١٨ هجرية تقريباً، سن الحج إلى الجش بالقطيف بعدما وضع الحجر الأسود في بيت كبير، وأمر القرامطة سكان منطقة القطيف بالحج إلى ذلك المكان، لكن الأهالي رفضوا تلك الأوامر، فقتل القرامطة أناساً كثيرين من القطيف، قيل: بلغ قتلاه في مكة ثلاثين ألفاً. واستغل القرامطة كما

يبدو ضعف الدولة العباسية وتفككها لدويلات وانشغالها بحرب مع ثورة الزنج، فعاثوا في الأرض فساداً وسيطروا على بعض مناطق الجزيرة العربية، وارتكبوا مجازر كبرى خاصة في طريق الحجاج، فألغى أهل الشام والعراق الحج لشدة الرعب منهم، وقاموا بالهجوم على البصرة وقاموا بمجزرة كبرى استمرت ١٧ يوماً، واستباحوا الأموال واغتصبوا النساء، ثم هاجموا أطراف الشام، وكانوا كلما مروا بقرية سلبوا الأموال وقتلوا الرجال واغتصبوا النساء، ثم يحرقون القرية بما فيها ومن فيها أطفال وعجائز.(٣٥)

مطالعة شكل وحجم ونوعية الجرائم والمجازر والانتهاكات المرتكبة، وإجراء ثمة مقايسة ومقارنة فيما بينها وبين ما يرتكبه المتطرفون والإرهابيون، فإننا نصل إلى حقيقة هامة وهي الامتداد والتواصل والترابط التأريخي والفكري الانحرافي وحتى الإجرامي فيما بينها، ذلك أن الجذر الأساسي لمشكلة التطرف والإرهاب قد بقي على حاله، ونقصد الجانب الفكري الانحرافي منه والذي هو أخطر بكثير من جوانبه العسكرية والسياسية، إذ إنه وحتى بعد القضاء على هذه الحركات وقمعها فإن تهديداتها الفكرية الانحرافية ظلت قائمة، وهذا الأمر يجب الانتباه له جيداً، خصوصاً وأن استمراره من دون معالجة سيبقي مكمن الداء وأساس البلاء، وسوف نعرض في الفصول القادمة بعون الله ومشيئته رؤيتنا من أجل معالجة هذه الإشكالية ووضع حد لها بما يدرأ خطرها وينهي تهديدها للأمة الإسلامية.

ثلاثة أصوات واتجاه واحد:

لا غرو من أن أبرز حركة فكرية متمادية في تطرفها وغلوها على مر التأريخ، كانت وستبقى حركة الخوارج ولأنها كانت بصورة أو أخرى مؤثرة على الحركات والثورات والاتجاهات الفكرية التي أعقبتها، ولعل من أهم الأسباب التي تمنح أهمية استثنائية لهذه الحركة وتميزها عن باقي الحركات المتمردة والعاصية الأخرى، ما يلي:

أولاً: إنها انطلقت في بدايات الإسلام وخلال مرحلة حساسة وخطيرة شهدت الكثير من الانقسامات والاختلافات والمواجهات الحادة.

ثانياً: إنها عاصرت عهد خليفة راشدي وإمام فكري وعقائدي لفت ويلفت الانتباه لحد الآن، ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب، والذي يمثل بحد ذاته مدرسة فكرية تتعاظم تأثيراتها على معظم المذاهب والفرق والاتجاهات الإسلامية.

ثالثاً: أعلنت تمسكها بالقرآن الكريم كحكم وفيصل في حسم الأمور والقضايا المختلفة، ولا سيما وأنها قد رفعت شعارها الشهير(لا حكم إلا لله)، وأرفقت ذلك بتعبدها وزهدها غير العادي.

رابعاً: إنها أول فرقة وجماعة كبيرة تخرج بعد الردة على خليفة المسلمين وتعلن رفضها للخليفة وتسعى لقتله وإزاحته عن الحكم، كما أنها كانت ترفض الطرف المعارض له «أي معاوية بن أبي سفيان».

خامساً: حركة زرعت الكثير من أوجه الالتباس والإشكال لدى عامة المسلمين لكونها وكما أسلفنا كانت مغالية في تمسكها بالعبادات.

سادساً: الخوارج اتجاه فكري أسس لسياق يجنح للاجتهاد في النص القرآني بنمط وأسلوب يشذ عن السياق والإجماع العام لعلماء الإسلام.

سابعاً: إنها حركة مهدت للتشكيك في النظام الإسلامي من أساسه وفي بداياته، وهي بذلك قوّت عود الاتجاهات التكفيرية والإلحادية ودعمتها من أجل التطاول على الإسلام والنيل منه.

ثامناً: هذه الحركة منحت الكثير من الحجج والتبريرات للمستشرقين من أعداء الإسلام لكي يتخذوا منها ومن أفكارها أساساً ومنطلقاً لاستهداف الإسلام والتشكيك والطعن فيه.

تاسعاً: شوّهت هذه الحركة مفاهيم الثورة والدعوة للإصلاح لدى المسلمين بأن خلطت باطلاً مع الحق.

عاشراً: الخوارج حركة نصبت من نفسها بديلاً للنظام الإسلامي، لكنها في الحقيقة ومن حيث لا تدري وضعت نفسها بديلاً للإسلام الحقيقي والأصيل الذي دعا إليه الله سبحانه وتعالى ونبيه وعمل وأوصى به الخلفاء الراشدون والأئمة المعصومون وعلماء الإسلام، وهنا يكمن وجه خطورتها وما تشكله من تهديد لا يزال مستمراً على الإسلام والمسلمين.

أما ثورة الزنج، التي رفعت هي الأخرى في بدايتها، آية قرآنية كريمة أخرى واستخدمتها كـ «**كلمة حق يراد بها باطل**»، وهي آية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ القصص: ٥، فإنها وبعد أن اشتد ساقها واستولت على مناطق شاسعة وخضع الكثيرون لحكمها، بدأت بالتخبط الفكري بصورة واضحة، ذلك أنه وبعد أن زعم قائد الزنج مناصرته لأهل البيت عليهم السلام، وأنه من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب، لكنه جاهر فيما بعد بمبدأ الخوارج وأعلن تمسكه به ودعوته إليه، غير أنه لم يقف عند هذا الحد وإنما تمادى وبالغ أكثر عندما زعم النبوة، ولا سيما عندما نقل عنه: «أوتيت في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس، منها التي لقنت سوراً من القرآن فجرى بها لساني في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة، منها: سبحان، والكهف، وصاد، ومنها أني فكرت في الموضع الذي أقصده حيث أتيت في البلاد، فأظلتني غمامة، وخوطبت منها، فقيل لي: اقصد البصرة»(٣٦). فإن هذا التضارب والتناقض والتخبط الفكري الواضح، يؤكد زيفها وخواءها الفكري رغم أنها سعت للاستناد على مبادئ الخوارج من أجل أن تجد لها مرتكزاً وأساساً فكرياً واضحاً تستطيع من الوقوف والاعتماد عليه، غير أن الذي حدث هو أن تخبطها الفكري هذا قد فضحها وسلب منها المصداقية.

ثورة الزنج، تعتبر هي الأخرى من العلامات الفارقة في الحركات السياسية - الفكرية التي خرجت على الخلافة الإسلامية وناصبتها العداء، هي الأخرى لها الكثير من الأسباب التي منحتها أهمية واعتباراً خاصاً على الرغم من التناقضات الفكرية الصارخة فيها، ولعل أهم تلك الأسباب هي:

١. ثورة الزنج جاء في مرحلة تأريخية حساسة حيث كثر فيها الظلم وازداد فيها الفقر بشكل غير مسبوق، ذلك أن الأوضاع الوخيمة والبالغة السوء التي مرت بها الخلافة العباسية أيام الخليفة المهتدي بالله العباسي حيث منطقة البصرة التي كانت مهد هذه الثورة إلى جانب منطقة واسط، كانتا تعجان بالآلاف من الزنوج الأفريقيين الذين كانوا أرقاء أو أجراء لدى كبار ملاكي الأراضي الزراعية وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئاً، إنما القليل من الطعام الذي بالكاد يسد أودهم، والأنكى من ذلك أن أسيادهم لم يعاملونهم المعاملة التي أمر بها الإسلام، كل هذه العوامل قد منحت الكثير من المبررات والمسوغات لنجاح هذه الثورة واستقطابها للمؤيدين.

٢. ثورة الزنج دعت في بداية أمرها، إلى مبدأ التكافل الاجتماعي الذي هو أساساً من صلب المبادئ والمباني التي دعا ويدعو الإسلام إليها، ولذلك فقد لقيت هوى في قلوب وأفئدة الناس.

٣. هذه الثورة وعلى الرغم من الجرائم والمجازر الفظيعة التي ارتكبتها إذ إنها كانت ثورة تدميرية كاسحة تحرق المدن وتبيد الزرع وتقتل الناس الآمنين بلا رحمة، لكنها ومع كل فظائعها هذه لقيت ترحيباً واهتماماً من جانب المستشرقين الحاقدين والمتربصين شراً بالإسلام فهولوا من أمرها وعظموا من أمرها لا لشيء إلا من أجل الطعن في الإسلام ومحاربته.

٤. ثورة الزنج صارت مادة خصبة لبعض الاتجاهات اليسارية العربية من أجل النيل من الإسلام والزعم بأنه «أي الإسلام»، دين يدعو للطبقية والتفاضل بين الشرائح الاجتماعية، كما أن هذه الثورة دعت «بحسب تلك الاتجاهات اليسارية

العربية» أيضاً إلى رفض التمايز العرقي وكأن الإسلام كان يدعو إلى ذلك!

بالنسبة لحركة القرامطة، والتي كتب عنها الطبري والغزالي وابن الجوزي وابن كثير والشهرستاني وابن الأثير وجميع المؤرخين، بإسهاب، وتناولوها من مختلف الجوانب وقاموا بتوضيح حقيقتها وأهدافها وغاياتها والوسائل المختلفة التي استخدمتها، فإنها وبإجماع كل من كتبوا عنها آنفاً، تجسد حقيقة جماعة دموية تخفّت وراء ثورة زرعت الحقد والرعب أينما حطت بها الرحال. وقد كانت هناك عوامل وأسباب ساعدت على نجاح حركة أو ثورة القرامطة وديمومتها لقرابة ١٠٠ عام، حيث سيطروا خلالها على كل بادية الشام والعراق كما شملت الجزيرة العربية كلها عدا منطقة عسير، وأبرز وأهم هذه العوامل والأسباب هي:

- ضعف الدولة العباسية التي كانت منهكة بالحروب والفتن الداخلية والخارجية.

- الحقد على العباسيين والكراهية لهم ولا سيما وأن النهج الذي سارت عليه الدولة العباسية قد أغاظ الكثيرين.

- الفساد الذي عم الدولة العباسية وشل من قدراتها وفسح المجال والفرصة أمام الكثير من الأطراف والجهات المتحاملة عليها.

الحقيقة التي يجب أن نذكرها ونشدد عليها هي أنه وعلى الرغم من السعي الحثيث للمؤرخين في تحديد عقيدة للقرامطة تجمع بين فرقهم المتباينة إلا أنهم «أي المؤرخين»، وقعوا في تناقضات لأنه وفي حقيقة الأمر والواقع لم تكن للقرامطة من

عقيدة محددة، ذلك أنه لم يكن للقرامطة عقيدة يدينون بها أو مبدأ يؤمنون به، وإنما كانت عقيدتهم تحقيق رغباتهم وتأمين شهواتهم، وكان مبدؤهم في تنفيذ مخططاتهم التي يعملون من أجلها، ومع هذا فقد كانوا ينادون ببعض الأفكار أو يظهرون أنهم يعملون من أجلها وأنهم مرتبطون بفكرة معينة، وذلك من أجل كسب المؤيدين لهم وإيجاد أتباع يصلون من ورائهم وعلى ظهورهم إلى أهدافهم التي يعملون لها.

وهنا من المفيد ذكر ما قد ذكره الشهرستاني من أن القرامطة من فرق الباطنية فيقول: «ولهم ألقاب كثيرة... فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان التعليمية والملحدة»(٣٧). في حين قال البغدادي: «ثم ظهر في دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط، لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه، وكان في ابتداء أمره أكاراً من أكرة سواد الكوفة (أي راعياً)، وإليه تنسب القرامطة»(٣٨).

ومن جانب آخر قال مصطفى الشكعة: «والقرامطة إحدى الفرق المتفرعة عن الإسماعيلية، وتنتسب إلى رجل يقال له حمدان قرمط، وهو أحد مريدي عبد الله ابن ميمون القداح الذي اتخذ المذهب الإسماعيلي عقيدة لغرض في نفسه، وما لبث أن انبثق عن مجهوداته وجلده على الدعوة: المذهب الفاطمي والمذهب القرمطي، حتى إن بعض المستشرقين يذهب نتيجة لذلك إلى أن الفاطميين والقرامطة طائفة واحدة»(٣٩). أما أحمد الخطيب، فقد قال: «وكل من تتبع تاريخ هذه الحركة في فتنها وإرهابها، لا بد - إذا أراد الحق - أن يقول إن هذه الحركة ما ظهرت إلا من أجل شيء واحد محدد، هو محاربة الإسلام بكل الوسائل؛ بارتكاب الكبائر وهتك الأعراض وسفك الدماء بلا حدود والسطو على الأموال والأملاك وتحليل المحرمات، إرواء لأحقادهم الدفينة ضد الإسلام وإشباعاً لغرائزهم الحيوانية»(٤٠).

وكما نرى فإن هذه الحركات الثلاث وغيرها، قد رأت في أسلوب ونهج التمرد والخروج على إجماع الأمة من خلال استخدام القوة والعنف كوسيلة من أجل تحقيق أهدافها وغاياتها، والأهم من ذلك أن جماعات أخرى وأصحاب رأي سعوا من أجل جعل هذا الأسلوب والنهج كأساس ونهج في التعامل في سبيل فرض الأفكار والعقائد على الآخرين، وهذه نقطة بالغة الحساسية والأهمية من الضروري جداً الانتباه لها ووضعها في الحسبان.

الفصل الثالث

الإسلام مدرسة
الاعتدال والوسطية والقبول بالآخر

الإسلام مدرسة الاعتدال والوسطية والقبول بالآخر

المشاورة والحوار كما يراه الإسلام:

النقطة أو المحطة التي التقت فيها هذه الحركات الفكرية - السياسية الثلاث ونقصد بها الخوارج وثورة الزنج والقرامطة، هي استغلالها العوامل الدينية من أجل التغطية على أهداف وغايات متعارضة مع الدين وقيمه ومبادئه، خصوصاً وأنها قامت بتوظيف الممارسات القمعية والتعسفية والإرهاب وإرعاب الناس كوسيلة أساسية للوصول إلى أهدافها، ذلك أن الإسلام ومع قناعته بالاختلاف في الأفكار والرؤى والقناعات وتنوعها، لكنه وضع قاعدة وأساساً لتفعيل ذلك الاختلاف والتنوع والخروج بقناعة أو رؤية محددة تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين، وهذه القاعدة استندت إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٤١)، ذلك أن صيغة (**الشورى**)، هي قاعدة عمل بها الرسول الأكرم ﷺ، بنفسه كما أمره الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ

﴿لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (٤٢)، ما يجب أن نلاحظه ونتمعن فيه بدقة في هذه الآية الكريمة، هو أن الله تعالى قد أمر نبيه الكريم بأمرين قبل أن يشاورهم في الأمر، وهما:

١. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾، عندما يأمر الله تعالى الرسول ﷺ، بالعفو عن المسلمين، فهو يمهد الأرضية والجو الموضوعي المناسب للتفاعل الاجتماعي من حيث الأخذ والرد.

٢. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، الاستغفار هنا هو حالة وجدانية ذاتية تتعلق بالرسول ﷺ، كفرد، والقصد منه تنقية الوجدان وتهيئته ليس لتقبل الآخر فقط، وإنما السعي للدفاع عنه لدى الله تعالى من خلال طلب الاستغفار له، وفي هذا معنى واعتبار خاص، يمنح للآخر ليس أهمية اعتبارية لمن يستغفر له فقط، وإنما يتوسل ويتضرع للباري القدير بأن يشمله بعطفه ولطفه الرباني.

وقد جاء الطلب الإلهي من الرسول ﷺ، بمشاورة المسلمين في الأمور المختلفة، بعد أن مهّد لذلك بشرطين أحدهما موضوعي والآخر ذاتي، وقطعاً فإن أيّ حوار أو نقاش يتم في ضوء تفهم وتقبل وحب الآخر، سيكون نقاشاً موضوعيّاً وواقعيّاً ويحمل كل شروط ومقومات النجاح، إذ إن الحوار والنقاش الذي يبدأ وطرفا الحوار أو النقاش منغلقان على بعضهما أو يضمران الحقد والكراهية ضد بعضهما بعضاً، وهذا هو الأسلوب والمعيار الذي حدده ووضعه الإسلام من أجل الدخول في الحوار أو النقاش والمشاورة في الأمور المختلفة بين المسلمين، وكما نعلم فإن ما يقوم الرسول ﷺ به من أفعال

وتصرفات وممارسات، فإن ذلك يصبح نهجاً وأسلوباً واجب الاتباع والاقتداء من جانب المسلمين بحسب النص القرآني الصريح: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾(٤٣)، وكما كان الرسول الأكرم متسامحاً وعطوفاً ورؤوفاً ومنفتحاً على المسلمين، فإن على المسلمين الاقتداء به والسير على نهجه وأسلوبه ذاتها، خصوصاً وأن الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (٤٤)، توضح للرسول الأكرم ومن خلاله للمسلمين، بأن الرسول لو كان فظّاً غليظ القلب وحاشاه من ذلك، لانفضّوا من حوله ولم يكن هناك من يريد الاستماع والتحدث إليه، ومن هنا، فإن رفع الأصوات والتهكم والسب والقذف وكل الأساليب الأخرى ذات الصلة، ليست لها أية علاقة أو ربط بالإسلام، بل الإسلام بريء منه تماماً، إذ إنه لايريد أبداً أن يربي المسلمين على خصال غير حميدة توقع العداوة والكراهية والحقد والبغضاء بينهم. بل وإن هناك أحداثاً من التاريخ الإسلامي تؤكد على كيفية التحاور والأسلوب الرزين والمتزن الذي قد تم اتباعه خلال الحوار والتشاور برغم الاختلاف الشديد بين أطراف الحوار.

لكل حوار ونقاش ومشاورة... أساس

في كل حوار ونقاش أو عملية استشارة ومشاورة، لا بد من أن يكون هناك ثمة قاعدة وأرضية محددة يجب الانطلاق منها لإيجاد ثمة قاسم مشترك أو التوصل لاتفاق، إذ ليس من الممكن أبداً خوض غمار حوار أو نقاش بين طرفين أو أكثر، من دون أن يكون هناك ثمة محور أو أساس وأرضية لكي تعتمد عليها الأطراف المتحاورة كي تثبت صواب وجهة نظرها ورؤيتها لما هو مطروح.

مثلما أن لكل دولة دستوراً وقوانين معمولاً بها، تعتمد كمعيار أساسي للحوار والنقاش والأخذ والرد بين الأحزاب والحركات والاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية، فإن للإسلام أيضاً أرضية وأساساً يجب الانطلاق منه من جانب كل الأطراف المتحاورة والمتناقشة في أيّ مجال أو شأن له علاقة بالإسلام والمسلمين، وإن الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٤٥)، تحدد السياق الذي يجب اتباعه بهذا الصدد، وإن الاختلاف في الرأى والطروحات ووجهات النظر بين أبناء الأمة الإسلامية، والذي هو أمر طبيعي وارد، خصوصاً وأن الرسول الأكرم قد نقل عنه في الحديث الشريف: (اختلاف أمتي رحمة)، فإن الاختلاف ليس بحالة مرفوضة أو غير مقبولة في الإسلام فيما لو كانت ملتزمة بالجوانب والضوابط الشرعية والعقلية، وإنما يكون مرفوضاً وغير مقبول بالمرة فيما لو سار باتجاه لا يتفق

مع الجوانب والضوابط الشرعية والعقلية، وهنا، فإن الآية الكريمة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾النحل: ١٢٥، والتي وإن يمكن اعتبارها إحدى القواعد الأساسية في مخاطبة الآخر غير المسلم، إلا أن ذلك لا يعني أنها لا تعني المخاطبة بين المسلمين أنفسهم، بمعنى أن الخطاب هنا ليس حصريّاً بالآخر غير المسلم، وإنما هو أعم وأوسع نطاقاً وأكثر شمولاً من ذلك، ذلك الدقيق في هذه الآية الكريمة، يوضح بأنها تضع قواعد وأسساً أخلاقية لتوجيه الخطاب والتعاطي مع المقابل، ومن الواضح جداً بأن الإسلام لا يقبل أو يسمح بخطاب يحكم على نفسه من البداية بالانغلاق والانطواء والتقوقع على النفس، ومثلما أن الباري عز وجل، عندما ذكر في الآية الكريمة وهو يوجه خطابه للرسول الأكرم ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩، فمن الواضح أن الليونة والتساهل والانفتاح والانشراح، من أهم المتطلبات لطرفي النقاش والحوار، ولا سيما ذلك الطرف الذي يعتبر نفسه الأفقه والأعلم والأكثر تبحراً في الإسلام، وأن الله سبحانه وتعالى عندما وضع هكذا قواعد وأسس للحوار والمناقشة، فإن علة ذلك هو أن نتائج الحوار والنقاش، سلباً وإيجاباً ستنعكس على الطرفين فيما لو كان النقاش منحصراً بهما وينسحب ويعم على الآخرين فيما لو كان طرفا النقاش يمثلان شرائح ومجاميع.

المشكلة الكبيرة التي نحن بصددها ويجب أن نلاحظها باهتمام، هي أننا كلما

تباعدنا عن المراحل الأولية لانبعاث الإسلام وانتشاره، نجد أن هناك وللأسف البالغ تباعداً ملفتاً للنظر بين الأمة الإسلامية وبين الكثير من القواعد والأسس التي وضعها الإسلام لهذه الأمة للتعامل والتعاطي في مختلف المجالات، وبالأخص في مجال التواصل والتفاهم والحوار والنقاش والمشاورة بين أبناء الأمة الإسلامية، وإن حدوث خلل في مثل هذا المجال الحيوي والحساس، من شأنه أن يحدث خللاً كبيراً يؤثر سلباً على البناء والنسيج الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية بما يجعلها عرضة للكثير من التهديدات ولا سيما تلك التي تمهد للاختلاف والانقسام والتباعد والتباغض والحقد والكراهية، ولو ألقينا نظرة سريعة على التاريخ، لوجدنا فيه الكثير من الأحداث التي تؤكد ما نرمي إليه هنا، خصوصاً وأننا لو لاحظنا فترات الانحطاط والتراجع في مختلف الحضارات وعلى مر التاريخ، نجد أن واحدة من أهم الأخطار التي كانت تعبث بهذه الحضارات، تجسدت في الفتن والصراعات الداخلية التي كانت تقوم أساساً على اختلافات حادة في الرؤى والأفكار من جراء انقطاع أواصر وأسباب التواصل.

بناء المجتمعات والحضارات، يشبه بناء الشخصية الإنسانية من بدايتها إلى نهايتها، ففيها مراحل قوة وتألق وشموخ وعنفوان وفيها مراحل خمول وذبول وتراجع وانحطاط، وفي حالات القوة والتألق والشموخ، تكون أغلب الأمور على ما يرام، فهناك الأمن والاستقرار والحياة المعيشية الجيدة والأهم من ذلك الاطمئنان، أما في الحالة السلبية الأخرى، فإن هذه المجتمعات والحضارات أشبه ما يكون بالكهل الذي بلغ به الكبر عتيّاً فلا يستطيع الحركة وأداء

واجباته الأساسية ويمكن أن ينهار في أية لحظة، وإن فترة انحطاط الدولتين العباسية والعثمانية مثلاً، حيث سميت الأخيرة بالرجل المريض، هي خير مثال بهذا الصدد، ذلك أنه وخلال هاتين الفترتين قد كثرت الفتن والانقسامات والمواجهات التي أريقت فيها الدماء وأهدرت فيها الأموال وكثر فيها الفساد حتى أزكم الأنوف، وبطبيعة الحال هذه هي النتيجة المنتظرة دائماً من فقدان البوصلة الأساسية في التواصل لأيّ مجتمع أو أمة أو حضارة، فذلك ما يمكن اعتباره المؤشر الخطير الذي يفتح باباً قد ينفتح منه مئات الأبواب الأخرى لكل أنواع الشر والظلام والجهل والتخلف والانحطاط والضياع والتمزق.

الإسلام يريد مسلماً عقلانيّاً منفتحاً

الإسلام ومنذ البداية، رفض العقلية النمطية التقليدية في تقبله والإيمان به، وإنما رفض ذلك بقوة ودعا الإنسان للتحرر من قيود تلك النمطية والانفتاح على عالم أوسع رحابة وأكثر تحرراً للفكر الإنساني، وإننا لو تمعنا في الآيات الكريمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٤٦)، و﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٤٧)، رفض الإسلام الكامل في هاتين الآيتين وآيات كثيرة أخرى تسير بالسياق نفسه، للتفكير النمطي والتقليدي والخشبي للإنسان المسلم من حيث تعامله مع الذات والموضوع، هو رفض قطعي لا غبار عليه، ذلك أن الإسلام ومن خلال القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، يفتح أبواب التدبر والتفكير والتأمل بعمق وتأنٍّ، على مصاريعها من مختلف القضايا والأمور المطروحة، وهو«أي الإسلام»، يهدف في نهاية المطاف إلى بناء إنسان على بينة من قناعاته ومن إيمانه ونظرته للأمور، لكي يكون في النهاية فرداً مطمئناً يقف على أرضية فكرية ومبدئية صلبة، ومثل هكذا إنسان، يصعب دفعه للانحراف والخروج عن طريق الحق والصواب، كما يمكن الاعتماد عليه على مختلف الأصعدة سواء في محيطه العائلي أم الاجتماعي أم الوطني والفكري.

دعوة الإسلام الجادة للإنسان بالتدبر والتفكير العميق والجدي قبل حسم أمر إيمانه وقناعته بالإسلام، هي دعوة حيوية وبناءة واستثنائية على أكثر من

صعيد، ولا يوجد دين دعا للمحاججة والمناظرة والبحث والتقصي والتفكير، كما هو الحال مع الإسلام، وهذا برأينا المتواضع يدل فيما يدل على حقيقة كون هذا الدين من الله تعالى وأنه قد جاء من أجل خدمة الإنسان والنهوض به وانتشاله من الحالات والأوضاع السلبية وتمهيد السبيل أمامه لكي يدخل في مجالات وحالات أفضل وأضمن لكرامته واعتباره الإنساني.

الإسلام يحثّ الإنسان على التفكر والتدبر والتمعن في نفسه وفي واقعه الموضوعي والكون برمته، من أجل إشعاره أنه أفضل المخلوقات وأرقاها مستوى ومكانة فيما لم يعمل على استغلال طاقاته وإمكانياته الخلاقة التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه وكذلك على تفضيله على بقية الخلق، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في العديد من الآيات منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾(٤٨)، أو﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ ﴾(٤٩)، و﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (٥٠)، أو ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾(٥١)، القرآن الكريم، ومن خلال حث الإنسان على اللجوء إلى أسلوب المحاججة والبحث والاستقصاء للاستدلال على حقائق الأمور، وإرشاده إلى استخدام أفضل الطرق والسبل لكي يرتقي بشخصيته ويمنحها أسباب القوة والمناعة، خصوصاً وأن القرآن الكريم، ومع دعوته للإنسان كي يستفيد ويستخدم الإمكانيات العقلية والنفسية الغرائزية

والعضوية الممنوحة له، لكن في الوقت نفسه شدد أيضاً على ضرورة أن يكون ذلك الاستخدام والاستفادة في ضوء النسب والمقادير المحددة لها وعدم التطرف في ذلك، غير أن الأمر الذي أكد الإسلام عليه أكثر من أيّ شيء آخر، هو ضرورة غلبة العامل والجانب العقلي في الإنسان على العوامل الأخرى.

الأهمية الاستثنائية التي أولاها الإسلام للعامل والجانب العقلي في الإنسان، جاءت من أجل بناء شخصيته قوية متماسكة مهيأة لتقبل فكرة التوحيد التي هي الركن الركين في الإسلام وأساسه الراسخ، ولكي نقرب الصورة ونوضحها أكثر، فلا بد من الحديث عن الجوانب التي تكوّن شخصية الإنسان وتحدد أبعادها وجوانبها الأساسية.

العوامل والجوانب التي تتكوّن منها شخصية الإنسان هي:

أولاً: العامل والجانب العقلي: وهو العمل الذي يقوم الإنسان من خلاله بعملية الاختيار والقرار في مختلف الأمور والقضايا والمواقف على الأصعدة المختلفة بما يحدد ثقله ومكانته واعتباره الاجتماعي.

والعامل العقلي، وكما معروف يشكل أهمية وثقلاً خاصاً لدى مختلف المدارس الفكرية والفلسفية بحيث تعتبره الأساس والمحور الذي تدور حوله معظم العوامل الأخرى.

ثانياً: العامل النفسي: وهو عامل غرائزي نظير الجنس والأنانية وحب

الظهور وحب التملك وحب السيطرة والزعامة وغيرها، وهذه الغرائز فطرية جبل عليها الإنسان وتصاحبه منذ ولادته وبعضها يتبلور كلما ترعرع وتفاعل مع البيئة الاجتماعية .

والغرائز جمع غريزة، وهي اسم مشتق من الغرز كغرز المسمار في الجدار، أما معناها الاصطلاحي فعلى الرغم من اختلاف علماء النفس في تحديد عدد الغرائز إلا أنهم متفقون على أن الغريزة قوة كامنة في الكائن الحي تدفعه إلى أنواع مختلفة من السلوك، والغرائز هي المحركات الأولى لكل سلوك.(٥٢)

ثالثاً: العامل العضوي: نظير الأكل والشرب والنوم، فهذه حاجات وعوامل عضوية نجدها لدى كل إنسان، لكن الأمر الذي يجب أن ننتبه إليه ونأخذه بنظر الاعتبار، هو أن الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الأكل والشرب والنوم، بل إنه يواجه الموت في حال استمراره في الاستغناء، غير أنه وفي حالة استغناء الإنسان عن أحد العوامل الغرائزية نظير الجنس مثلاً، فإنه لن يموت، ولكنه قطعاً سيعاني من التأثيرات المعنوية لذلك.

هذه العوامل الثلاثة، ومن خلال عملية التنسيق والترتيب فيما بينها، فإن شكل ومضمون شخصية الإنسان تتحدد وترتسم معالمها الأساسية، وإن الإنسان إذا ما انقاد للعامل الغرائزي أو منح همه للعامل العضوي، فإن ذلك سيؤثر حتماً على تراجع دور ومكانة العامل العقلي في شخصية الإنسان، ويظهر الإنسان بصورة مختلفة ومغايرة لتلك التي كان سيكون عليها فيما لو كان العامل العقلي هو صاحب الدور والمكانة الأعلى، وهنا، لسنا نميل إلى كبح العوامل الغرائزية

والعضوية أو فرض قيود صارمة عليهما، وإنما نرى من المهم جداً فسح المجال الكافي أمامهما بما يلبيان الاحتياجات الإنسانية وفي الحدود المقدرة لها، أو بتعبير أدق من دون إفراط أو تفريط. وقد حدد القرآن الكريم سياق العلاقة بين هذه العوامل بصورة دقيقة عندما ذكر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾(٥٣)، ذلك أن عوامل الخير والشر كليهما موجودان والذي يتحكم في كليهما ويجعل الإنسان صاحب الأمر فيهما، هو العامل العقلي، فالله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، فإن التزكية هنا بمعنى غلبة العامل العقلي المؤمن بالمعايير والقيم الإسلامية على العوامل الأخرى، في حين إنه وفي حالة: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾، فإن العوامل النفسية والعضوية هي التي تهيمن على العامل العقلي وتجعل دوره هامشياً أو ذا تأثير ودور ضعيف.

الإسلام عندما يمنح الأولوية والصدارة للعامل العقلي، فإنه لا يلغي أو يصادر أو يرفض العوامل الأخرى، وإنما يريدها ضمن الإطار المحدد لها، أو حسب الآية القرآنية: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾(٥٤)، هذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء بكمية مخصصة أو بقدر معين، فلكل شيء حجمه ومقداره وما يحتاجه ويفي بالغرض الذي خلق من أجله، وإن للعامل الغرائزي وكذلك للعامل العضوي، حاجة ومقداراً محدداً، إن ازداد أو تجاوز حده ومقداره فإنه يتعدى أو يتجاوز الحد الأساس الذي خلق على أساسه، وهذا ما يؤدي إلى اضطراب وخروج عن سياق التوازن، ولذلك فإن فرعون

ونيرون وهتلر وغيرهم من طغاة التاريخ، عندما خرجوا عن الحد المألوف والمقدر لهم في حبهم للظهور والاستعلاء، فإنهم بذلك أعطوا زمام أمورهم لهذه الغريزة وأطلقوا لها العنان بما جعل من العامل العقلي ثانوياً، ولذلك فقد خسروا كل شيء في النهاية. وبالسياق والمعنى نفسه يمكننا الحديث عن قوم لوط عندما بالغوا وتمادوا في الانصراف للأمور الجنسية حتى ابتذلوا فيها وصاروا أسرى وعبيداً للغريزة الجنسية، وهذا ما جعل أيضاً العامل العقلي هامشياً أو خاضعاً للغريزة وليس العكس كما يجب.

المجتمع كما يريده الإسلام

هناك من يرى بأن الإسلام قد ركز على المجتمع أكثر مما ركز على الفرد، وبنى البعض رأيه على أن الآيات على الأغلب تستخدم خطاباً جماعياً، وقلما نجد هناك خطاباً فردياً بحسب العديد من الرسائل التي وردت إلينا وطرحت هذا الموضوع، وباعتقادنا أن هناك ثمة إشكالاً أو التباساً بهذا الصدد، ذلك أن الإسلام اهتم بالمجتمع والفرد ، فالمجتمع أساساً يتألف من الأفراد، وكلاهما (أي المجتمع والفرد)، يعتمدان على بعضهما البعض ولا يمكن لأيّ منهما أن يستغني عن الآخر، خصوصاً وأن الإنسان كما نعلم جميعاً كائن اجتماعي لا يميل للوحدة والانفراد والانطواء على نفسه، لكن الذي يجب أن نلاحظه جيداً هو أن المادة الأساسية للمجتمع هو الفرد، ومجموع أو مجاميع الأفراد تشكل في نهاية المطاف المجتمع، ولو كان هنالك ثمة خلل أو إشكال ما في الأفراد فإن ذلك سينعكس بالضرورة على البناء الاجتماعي وسيظهر فيه ما يدل على ذلك، ولذلك فإن الإسلام انتبه إلى هذه المسألة الهامة والحساسة ومنحها اهتماماً خاصاً، حيث سعى لبناء الأفراد بما يجعلهم جديرين بأن يصبحوا لبنات قوية ومتينة للمجتمع الإسلامي، لكننا يجب أن ننتبه هنا إلى أن هناك قوانين وسنناً تاريخية تتحكم بالمجتمعات تماماً وتؤثر عليه كثيراً، خصوصاً فيما لو سار بخلاف هذه السنن أو تعمد معارضتها، وبهذا الخصوص فإن هناك ثلاثة أشكال تتخذها السنة التاريخية في القرآن الكريم، لا بد من استعراضها ومقارنتها والتدقيق في أوجه الفرق بينها:

١ . الشكل الأول للسنة التاريخية:

هو شكل القضية الشرطية. في هذا الشكل تتمثل السنة التاريخية في قضية شرطية تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية وتؤكد العلاقةالموضوعية بين الشرط والجزاء، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء. وهذه صياغة نجدها في كثير من القوانين والسنن الطبيعية والكونية في مختلف الساحات الأخرى. فمثلاً: حينما نتحدث عن قانون طبيعي لغليان الماء، نتحدث بلغة القضية الشرطية، نقول بأن الماء إذا تعرض إلى الحرارة بدرجة معينة سوف يحدث الغليان. هذا قانون طبيعي يربط بين الشرط والجزاء ويؤكد أن حالة التعرض إلى الحرارة ضمن مواصفات معينة تذكر في طرف الشرط، تستتبع حادثة طبيعية معينة وهي غليان هذا الماء، تحول هذا الماء من سائل إلى غاز. هذا القانون مصاغ على نهج القضية الشرطية. ومن الواضح أن هذا القانون الطبيعي لا ينبئنا شيئاً عن تحقق الشرط وعدم تحققه، ولا يتعرض إلى مدى وجود الشرط، وعدم وجوده، ولا ينبئنا بشيء عن تحقق الشرط إيجاباً أو سلباً، وإنما ينبئنا عن أن الجزاء لا ينفك عن الشرط، متى ما وجد الشرط وجد الجزاء. فالغليان نتيجة مرتبطة موضوعياً بالشرط.

ومثل هذه القوانين تقدم خدمة كبيرة للإنسان في حياته الاعتيادية وتلعب دوراً عظيماً في توجيه الإنسان؛ لأن الإنسان ضمن تعرفه على هذه القوانين يصبح بإمكانه أن يتصرف بالنسبة إلى الجزاء، ففي كل حالة يرى أنه بحاجة إلى الجزاء يوفر شروط هذا القانون، وفي كل حالة يكون الجزاء متعارضاً مع

مصالحه ومشاعره يحاول الحيلولة دون توفر شروط هذا القانون. إذن القانون الموضوع بنهج القضية الشرطية موجّه عملي للإنسان في حياته. ومن هنا تتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى في صياغة نظام الكون على مستوى القوانين وعلى مستوى الروابط المطردة والسنن الثابتة؛ لأن صياغة الكون ضمن روابط مطردة وعلاقات ثابتة هو الذي يجعل الإنسان يتعرف على موضع قدميه، وعلى الوسائل التي يجب أن يسلكها في سبيل تكييف بيئته وحياته والوصول إلى إشباع حاجته. فلو أن الغليان في الماء كان يحدث صدفة ومن دون رابطة قانونية مطردة مع حادثة أخرى كالحرارة، إذن لما استطاع الإنسان أن يتحكم في هذه الظاهرة متى ما كانت حياته بحاجة إليها، وأن يتفاداها متى ما كانت حياته بحاجة إلى تفاديها، إنما كانت له هذه القدرة باعتبار أن هذه الظاهرة وضعت في موضع ثابت من سنن الكون وطرح على الإنسان القانون الطبيعي بلغة القضية الشرطية، فأصبح ينظر في نور لا في ظلام، ويستطيع في ضوء هذا القانون الطبيعي أن يتصرف.

الشيء نفسه نجده في الشكل الأول من السنن التاريخية القرآنية، فإن عدداً كبيراً من السنن التاريخية في القرآن قد تمت صياغتها على شكل القضية الشرطية التي تربط ما بين حادثتين اجتماعيتين أو تاريخيتين، بحيث إنه متى وجدت الحادثة الأولى وجدت الحادثة الثانية. ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾الرعد:١١ ، إشارة إلى سنة تاريخية بينت بلغة القضية الشرطية؛ لأن مرجع هذا المفاد القرآني إلى أن هناك علاقة بين تغييرين: بين تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، وتغيير الوضع الظاهري للبشرية والإنسانية.

مفاد هذه العلاقة قضية شرطية: إنه متى ما وجد ذاك التغيير في أنفس القوم وجد هذا التغيير في بنائهم وكيانهم. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ الجن:١٦، تشير الآية الكريمة إلى سُنة من سنن التاريخ، سُنة تربط بين وفرة الإنتاج بعدالة التوزيع. هذه السُّنة أيضاً هي بلغة القضية الشرطية كما هو الواضح من صياغتها النحوية أيضاً.

٢. الشكل الثاني الذي تتخذه السنن التاريخية:

شكل القضية الفعلية الناجزة الوجودية المحققة، وهذا الشكل أيضاً نجد له أمثلة وشواهد في القوانين الطبيعية والكونية. مثلاً: العالم الفلكي حينما يصدر حكماً علمياً على ضوء قوانين مسارات الفلك، بأن الشمس سوف تنكسف في اليوم الفلاني أو أن القمر سوف ينخسف في اليوم الفلاني، فإنه قانون علمي وقضية علمية، إلا أنها قضية وجودية ناجزة، ليست قضية شرطية. فالإنسان لا يملك تجاه هذه القضية أن يغير من ظروفها، أو يعدل من شروطها؛ لأنها لم تبين كلغة قضية شرطية، وإنما بينت على مستوى القضية الفعلية الوجودية: الشمس سوف تنكسف، القمر سوف ينخسف. هذه قضية فعلية تنظر إلى الزمان الآتي وتخبر عن وقوع هذه الحادثة على أيّ حال. كذلك الأنواء الجوية، القرارات العلمية التي تصدر عن الأنواء الجوية: المطر ينهمر على المنطقة الفلانية. هذا أيضاً يعبر عن قضية فعلية وجودية لم تصغ بلغة القضية الشرطية، وإنما صيغت بلغة التنجيز والتحقيق بلحاظ مكان معين وزمان معين. هذا هو الشكل الثاني من السنن التاريخية.

هذا الشكل من السنن التاريخية هو الذي أوحى في الفكر الأوروبي بتوهم التعارض بين فكرة سنن التاريخ وفكرة اختيار الإنسان وإرادته. نشأ هذا التوهم الخاطئ الذي يقول بأن فكرة سنن التاريخ لا يمكن أن تجتمع إلى جانب فكرة اختيار الإنسان؛ لأن سنن التاريخ هي التي تنظم مسار الإنسان وحياة الإنسان، إذن ماذا يبقى لإرادة الإنسان؟ هذا التوهم أدى إلى أن بعض المفكرين يذهب إلى أن الإنسان له دور سلبي فقط حفاظاً على سنن التاريخ وعلى موضوعية هذه السنن. وذهب بعض آخر في مقام التوفيق ما بين هاتين الفكرتين ولو ظاهرياً إلى أن اختيار الإنسان نفسه هو أيضاً يخضع لسنن التاريخ وقوانينه [فهذا البعض] لا يضحي باختيار الإنسان، لكن يقول بأن اختيار الإنسان لنفسه حادثة تاريخية أيضاً، إذن هو بدوره يخضع للسنن، هذه تضحية باختيار الإنسان لكن بصورة مبطنة غير مكشوفة. بينما ذهب فريق ثالث إلى التضحية بسنن التاريخ لحساب اختيار الإنسان، فذهب جملة من المفكرين الأوروبيين إلى أنه ما دام الإنسان مختاراً فلا بد من أن يستثني الساحة التاريخية من الساحات الكونية في مقام التقنين الموضوعي، لا بد وأن يقال بأنه لا سنن موضوعية للساحة التاريخية حفاظاً على إرادة الإنسان وعلى اختيار الإنسان.

وهذه المواقف كلها خاطئة ؛ لأنها جميعاً تقوم على ذلك الوهم الخاطئ، وهم الاعتقاد بوجود تناقض أساسي بين مقولة السنة التاريخية ومقولة الاختيار، وهذا التوهم نشأ من قصر النظر على الشكل الثاني من أشكال السنة التاريخية، أي قصر النظر على السنة التاريخية المصاغة بلغة القضية الفعلية الوجودية الناجزة. لو كنا نقصر النظر على هذا الشكل من سنن التاريخ، ولو كنا نقول

بأن هذا الشكل هو الذي يستوعب كل الساحة التاريخية، لكان هذا التوهم وارداً، ولكنا يمكننا إبطال هذا التوهم عن طريق الالتفات إلى الشكل الأول من أشكال السنن الذي تصاغ فيه السنة التاريخية بوصفها قضية شرطية. وكثيراً ما تكون هذه القضية الشرطية في شرطها معبرة عن إرادة الإنسان واختياره، بمعنى أن اختيار الإنسان يمثل محور القضية الشرطية وشرطها. إذن فالقضية الشرطية كالأمثلة التي ذكرناها من القرآن الكريم تتحدث عن علاقة بين الشرط والجزاء، والشرط هو فعل الإنسان، وإرادته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد:١١. فالتغيير هنا أسند إليهم فهو فعلهم، وإبداعهم وإرادتهم.

إذن السنة التاريخية حينما تصاغ بلغة القضية الشرطية، وحينما يحتل إبداع الإنسان واختيار الإنسان موضوع الشرط في هذه القضية الشرطية تصبح هذه السنة متلائمة تماماً مع اختيار الإنسان، بل إن السنة حينئذٍ تطغى على اختيار الإنسان، تزيده اختياراً وقدرة وتمكناً من التصرف في موقفه، فكما أن ذلك القانون الطبيعي للغليان يزيد من قدرة الإنسان في أن يتحكم في الغليان بعد أن عرف شروطه وظروفه، كذلك السنن التاريخية ذات الصيغ الشرطية، هي في الحقيقة ليست على حساب إرادة الإنسان، وليست نقيضاً لاختيار الإنسان، بل هي مؤكدة لاختيار الإنسان، وتوضح للإنسان نتائج الاختيار لكي يستطيع أن يقتبس ما يريده من هذه النتائج، لكي يتعرف على الطريق الذي يسلك به إلى هذه النتيجة أو إلى تلك النتيجة، فيسير على ضوء وكتاب منير. هذا هو الشكل الثاني للسنة التاريخية.

٣. الشكل الثالث للسنة التاريخية:

وهو شكل اهتم به القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، هو السنة التاريخية المصاغة على صورة اتجاه طبيعي في حركة التاريخ لا على صورة قانون صارم حدي. وفرق بين الاتجاه والقانون. ولكي تتضح الفذلكة في ذلك لا بد وأن نطرح الفكرة الاعتيادية التي نعيشها في أذهاننا عن القانون.

القانون العلمي كما نتصوره عادة: عبارة عن تلك السنة التي لا تقبل التحدي من قبل الإنسان؛ لأنها قانون من قوانين الكون والطبيعية فلا يمكن للإنسان أن يتحداها ويخرج عن طاعتها. يمكنه أن لا يصلي؛ لأن وجوب الصلاة حكم تشريعي وليس قانوناً تكوينياً، يمكنه أن يشرب الخمر؛ لأن حرمة شرب الخمر قانون تشريعي وليس قانوناً تكوينياً، لكنه لا يمكنه أن يتحدى القوانين الكونية والسنن الموضوعية، مثلاً: لا يمكنه أن يجعل الماء لا يغلي إذا توفرت شروط الغليان، لأن هذا قانون، والقانون صارم، والصرامة تأبى التحدي.

هذه هي الفكرة التي نتصورها عادة عن القوانين، وهي فكرة صحيحة إلى حد ما، لكن ليس من الضروري أن تكون كل سُنة طبيعية موضوعية على هذا الشكل بحيث تأبى التحدي ولا يمكن تحديها من قبل الإنسان بهذه الطريقة، بل هناك اتجاهات موضوعية في حركة التاريخ وفي مسار الإنسان، إلا أن هذه الاتجاهات لها شيء من المرونة بحيث إنها تقبل التحدي ولو على شوط قصير، وإن لم تقبل التحدي على شوط طويل. أنت لا تستطيع أن تؤخر موعد غليان

الماء لحظة، لكن تستطيع أن تجمد هذه الاتجاهات لحظات من عمر التاريخ، لكن هذا لا يعني أنها ليست اتجاهات تمثل واقعاً موضوعياً في حركة التاريخ، هي اتجاهات ولكنها مرنة تقبل التحدي لفترة ثم تحطم المتحدي نفسه.

لكي أقرب الفكرة نستطيع أن نقول بأن هناك اتجاهاً في تركيب الإنسان، اتجاهاً موضوعياً لا تشريعياً، إلى إقامة العلاقات المعينة بين الذكر والأنثى في مجتمع الإنسان ضمن إطار من أطر النكاح موضوعي أعملت العناية في سبيل تكوينه في مسار حركة الإنسان. لا نستطيع أن نقول: إن هذا مجرد قانون تشريعي أو مجرد حكم شرعي، وإنما هذا اتجاه ركب في طبيعة الإنسان وفي تركيبه، وهو الاتجاه إلى الاتصال بين الذكر والأنثى وإدامة النوع عن طريق هذا الاتصال ضمن إطار من أطر النكاح الاجتماعي هذه سُنة، لكنها سنة على مستوى الاتجاه لا على مستوى القانون. لماذا؟ لأن التحدي لهذه السنة لفترة ما ممكن. أمكن لقوم لوط أن يتحدوا هذه السُّنة فترة من الزمن، بينما لم يكن بإمكانهم أن يتحدوا سنة الغليان بشكل من الأشكال، إلا أن تحدي هذه السنة على المدى الطويل يؤدي إلى أن يتحطم المتحدي كما تحطم مجتمع قوم لوط.

الاتجاه إلى توزيع الميادين بين المرأة والرجل اتجاه موضوعي، وليس اتجاهاً ناشئاً من قرار تشريعي. اتجاه ركب في طبيعة الرجل والمرأة، ولكن هذا الاتجاه يمكن أن يتحدى، يمكن استصدار تشريع يفرض على الرجل بأن يبقى في البيت ليتولى دور الحضانة والتربية، وأن تخرج المرأة إلى الخارج لكي تتولى مشاق العمل والجهد. هذا بالإمكان أن يتحقق عن طريق تشريع معين وبهذا يحصل التحدي لهذا الاتجاه، لكن هذا التحدي سوف لن يستمر؛ لأننا بهذا

سوف نخسر ونجمد كل تلك القابليات التي زودت بها المرأة من قبل هذا الاتجاه لممارسة دور الحضانة والأمومة، وسوف نخسر كل تلك القابليات التي زود بها الرجل من أجل ممارسة دور يتوقف على الجلد والصبر والثبات وطول النفس. تماماً من قبيل أن تسلم بناية، تسلم نجارياتها إلى حداد، وحداداتها إلى نجار. يمكن أن تصنع هكذا ويمكن أن تنشأ البناية أيضاً، لكن هذه البناية سوف تنهار سوف لن يستمر هذا التحدي في شوط طويل، سوف ينقطع في شوط قصير. كل اتجاه من هذا القبيل هو في الحقيقة سنة موضوعية من سنن التاريخ ومن سنن حركة الإنسان، ولكنها سنة مرنة تقبل التحدي في الشوط القصير، ولكنها تجيب على هذا التحدي».(٥٥) من هنا، فإن المجتمع وكما يريده الإسلام، هو في نهاية الأمر يجب أن يكون مبنياً من أفراد أصحاء (**جسداً وروحاً وفكراً وعقلاً**)، لأن أساس بناء هذا المجتمع إذا لم يكن بالشكل والمضمون الذي حدده الإسلام مع الأخذ بنظر الاعتبار السنن التاريخية والقوانين الطبيعية، فإن هذه المجتمعات ستكون معرضة للانهيار لأن لبناتها الأساسية غير متراصة ومنشدة ومترابطة مع بعضها البعض، ولهذا فإن العلاقة بين الفرد والمجتمع في الإسلام هي علاقة جدلية يعتمد كل طرف على الآخر ويستمد منه أسباب قوته ووجود واستمراره، وفي هكذا مجتمع وهكذا فرد، يمكن أن نؤسس لبناء المجتمع الإسلامي الذي نطمح إليه.

الاعتدال والوسطية... الأرضية المرنة للإسلام

فجر الإسلام الساطع الذي أطل على البشرية من الجزيرة العربية، لينقل من هذا المكان القاحل المقفر رسالة خضراء يانعة مفعمة بعبق التفاؤل والأمل والعزيمة إلى البشرية جمعاء بإمكان صناعة غد أكثر إشراقاً وفرحاً وسعادة للإنسانية من خلال التواصل والتشاور والتحاور بين الأمم والشعوب. هكذا رسالة غير عادية واستثنائية وفريدة من نوعها، فاجأ الإسلام العالم بها، لم يكن أبداً بل وحتى إطلاقاً أن تؤدي دورها المرجو والمنتظر منها لو كانت هذه الرسالة مكتوبة ومسطرة بحبر الكراهية والحقد والتطرف والإرهاب والانتقام، ذلك أن الإسلام عندما أطلق نداءه الإنساني الأبدع والأروع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾(٥٦)، فإنه تجاوز مختلف أنواع وأشكال التفاضل بين الشعوب والمجتمعات، وجعل مقياس التفاضل الوحيد تقوى الله تعالى، وهو بذلك قد قلب مقياس التفاضل والمقارنة الذي كان سائداً وقتئذٍ ليطرح بديلاً جمعاً وقاسماً مشتركاً أكبر وأوسع وأسمى بين الشعوب والأمم والحضارات الإنسانية، ويرفض كل أنواع المقاييس والمقارنات الضيقة الأفق والمنغلقة على نفسها والمعادية للماهية والكنه الإنساني الذي يسعى دائماً للتواصل والسلام والأمن والاستقرار.

هذا الخطاب العام الموجه للبشرية كلها والمتسم بأقصى درجات الانفتاح والمرونة والاعتدال، لم يوجهه الإسلام اعتباطاً، وإنما جرى على النسق والمنوال

والسياق نفسه الذي خاطب من خلاله أبناء الأمة الإسلامية وهم يدعون أصحاب الديانات الأخرى للإسلام أو يحاورونهم ويناقشونهم، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(٥٧)، لكن الذي يجب أن نلاحظه ونشير إليه ونقف عنده مليّاً هو أن الإسلام لم يقف عند هذا الحد من الاعتدال والوسطية والسعي للتواصل وإيجاد مخارج الالتقاء مع الآخر، بل إنه قد تعدى ذلك بأشواط أكبر عندما أكد: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(٥٨)، والحقيقة أن هكذا خطاب مفعم بأرقى أنواع الأساليب الإنسانية في التواصل والتعاطي لا يمكن أن نجد له مثيلاً إلا فيما جاء على لسان السيد المسيح في الإنجيل: «من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً»(٥٩)، فرسالة الدين الأساسية تهدف إلى نشر الحب كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ:(**هل الدين إلا الحب**)، وكذلك: (**الدين هو الحب والحب هو الدين**)، ذلك أنه لا يمكن أبداً للإنسان أن يتواصل مع أخيه الإنسان ويلتقي معه على أمر جامع وهو يحمل له الضغينة والبغض والعداوة، ذلك أن الشرط الأول لعملية التواصل وتلاقح الأفكار والرؤى ووجهات النظر، هو أن يكون هناك أرضية من الألفة والمحبة والتودد، لأنه عندما تكون الأرضية مبنية على الكراهية والحقد والتباغض، فذلك يعني أن الحكم بالفشل مقدم على أيّ حوار أو نقاش وعدم خروجه بأية نتيجة إيجابية، وكما نعلم فإنه عندما لا يكون الحوار أساساً للمعالجة والتصدي للاختلافات، فإن السبيل الآخر قد يؤدي إلى مفترقات

من بينها إراقة الدماء والدمار.

نحن عندما نؤكد على أرضية الحوار والنقاش التي وفرها وهيأها الإسلام، فإنما نريد أن نوضح الماهية والمعدن الاعتدالي والوسطي للإسلام والذي يسعى دائماً لانتهاج سبيل وسطي ليس فيه إفراط ولا تفريط، وأن الذين يسعون بكل ما في وسعهم من أجل إظهار الإسلام وكأنه معادٍ للأديان الأخرى ورافضٍ لها ولا يقبل بأيّ حل وسط سوى فرض رأيه وموقفه، فإننا نحاججهم بالآية الكريمة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ (٦٠).

وبرأينا فإن هذه الآية التي هي آية محكمة، والآية المحكمة كما يصنفها الباري عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾(٦١).

وقد قال ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير: (**هن أم الكتاب**) يقول: **أصل الكتاب، وإنما سماهن أم الكتاب، لأنهن مكتوبات في جميع الكتب**. وقد أوردنا هذه الآية الهامة والحساسة جدّاً، لأسباب كثيرة، أهمها:

- إنها تتعلق بالذين لم يؤمنوا بالإسلام ولم يقبلوا به ديناً، وهذا الأمر الذي جعل البعض منه معياراً لرفض وقتل وتصفية الآخر.

- إن الآية محكمة، بمعنى أنها من الآيات الأساسية والأصلية في القرآن الكريم والتي لا مجال لرفضها أو التجادل فيها.

- إن الآية تطرح قوة الحجة والبرهان لدى الإسلام وفي الوقت نفسه تؤكد على قمة التسامح ونبذ العنف والقسوة، وهي هنا تشدد على ضرورة الإيمان التطوعي النابع من الذات وليس الذي يقسر عليه المرء.

وهنا، نجد من المناسب جدّاً إيراد ما قد ذكره العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الكبير(**الميزان**) بخصوص هذه الآية الكريمة حيث قال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، نفي الدين الإجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً، أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً».(٦٢) ذلك أن مقتضى الدين الإسلامي وشريعته المقدسة، أكدت على الإقرار والاعتراف، وكذلك الإذعان، بما يقوله المكلف بلسانه، أي إننا، وبعد أن نعلم الشخص الذي دخل الإسلام ونطق الشهادتين، بأنه مسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم، إما أنه يكفر في قلبه أو لا يؤدي ما عليه من فروض كالصلاة اليومية، وصوم شهر رمضان وحج بيت الله إن استطاع إليه سبيلاً، فإن معاملته هنا، ظاهريّاً بأنه مسلم صحيح العقيدة، وحسابه على الله تعالى. وهذه هي حقيقة الدين الإسلامي، وطريقه اللاحب، لأنه خاتم الأديان وقد قالت الآية: ﴿ إِنَّ

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٦٣).

ولهذا فإن أولئك الذين يقومون بقتل وإبادة غير المسلمين ويزعمون بأنهم يطبقون أحكام الله سبحانه وتعالى، إنما هم أشبه بالذي ينظر إلى نصف الكأس الفارغة ويهمل النصف المملوء، أو بتعبير ووصف أدق، هم يأخذون شيئاً من الحقيقة والموضوع وليس كله، ذلك أننا ومع إدراكنا لدور القوة والسيف في إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين، لكننا في الوقت نفسه لا نميل إلى أن السيف وحده قد كان عامل الحسم وإيصال الإسلام وتعاليمه إلى شغاف القلوب، وإنما كان تسامح الإسلام وعطفه وطيبته وانفتاحه على الآخر، وإن الذي يؤكد هذا السياق التسامحي الجامح والطافح في الإسلام هو ما قد جاء في الآية الكريمة: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾(٦٤).

ونحن نرى أن في هذه الآية واحدة من أسمى وأرقى وأبدع القيم والمبادئ الإنسانية على وجه الإطلاق، ذلك أنها تطرح قمة التسامح عندما يحث المسلمين ويأمرهم بأن لا يحيدوا أو يخرجوا عن نهج الإسلام التسامحي في الرفق واللين، فالواجب الذي أمر الله تعالى به نبيه الكريم هو إبلاغ الناس وإنذارهم بما يدعو إليه، لكنهم وفي حال عدم موافقتهم وقبولهم، فإنه يجب تركهم وشأنهم، ذلك أن مهمته الإبلاغ وليس فرض القرآن الكريم وإجبار الناس على الإيمان به، فهكذا إيمان هو إيمان غير مقبول في الإسلام جملة وتفصيلاً.

ونجد هنا من المناسب جدّاً لفت الأنظار إلى أن ثمة أمراً مهمّاً ودقيقاً آخر اتخذه القرآن الكريم كمنهاج له في المخاطبة، ذلك أن هناك نوعين من المخاطبة

في الإسلام، هما:

أولاً: خطاب عام، حيث يبدأ دائماً بعبارة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وهذه تشمل المسلم وغير المسلم على وجه الإطلاق.

ثانياً: خطاب خاص، يبدأ عادة بعبارة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وهو موجّه للمسلمين على وجه التحديد.

الإسلام، سعى دائماً من أجل التأكيد والتشديد على المباني الإنسانية الجامعة وعلى القواسم المشتركة بين المجتمعات، ولم ينأَ بنفسه عن الاختلافات وإنما اعترف بها لكنه لم يمنحها الأولوية، وفي هذا الأمر أكثر من معنى واعتبار، وكمثال حي على ذلك، مثال عمل المتطرفين والذين يتمادون في غلوّهم وانغلاقهم على أنفسهم، على إهماله والتقليل من شأنه، نذكر الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(٦٥)، ذلك أننا نجد هنا موقفاً صريحاً آخر للإسلام من غير المسلمين، ولا سيما من اليهود والنصارى تحديداً، حيث إنه قد وضع الإيمان بالله سبحانه وتعالى والعمل الصالح والإيمان بيوم القيامة، وإن الله عز وجل هو من سيحكم بهذا الخصوص، مع ملاحظة أن الآية الكريمة تبشرهم بأن: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، وأن هذه الآية الكريمة تفند وتدحض رأي وحجة أولئك الذين قالوا بأن الإسلام قد أقيم على حد السيف، وهو أيضاً وفي الوقت رد دامغ على السلفيين والتكفيريين

وكل من تبنى أو يتبنى منهج العنف والتطرف والإرهاب وسفك دماء الناس عموماً والمسلمين خصوصاً.

الزعم والادعاء بأن الإسلام قد دعا لاستخدام القوة والسيف كسبيل ومنهاج وطريق من أجل فرض قيمه ومعاييره على الآخرين، نجده يتعارض بشدة بالغة مع النهج التسامحي الذي سلكه الإسلام، وكمثال على ذلك، فإننا ومن باب الفائدة ودحض وتفنيد المتطرفين والذين يؤمنون بنهج الغلوّ، نودّ أن ندرج الآيات الكريمة التي ورد فيها العفو، وهي من أهم أسس ومقومات التسامح:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (٢١٩، البقرة)

- ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (١٩٩، الأعراف)

- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (٥٢ البقرة)

- ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (١٠٩ البقرة)

- ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (١٧٨ البقرة)

- ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ (١٨٧ البقرة)

- ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (٢٣٧ البقرة)

- ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (٢٣٧ البقرة)

- ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ (٢٨٦ البقرة)

- ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ (١٣٤ آل عمران)

- ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡ﴾ (١٥٢آل عمران)

- ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ (١٥٥ آل عمران)

- ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ (١٥٩ آل عمران)

- ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٤٣﴾ (٤٣ النساء)

- ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٩٩﴾ (٩٩ النساء)

- ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ (١٤٩ النساء)

- ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ (١٥٣ سورة النساء)

- ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ (١٣ سورة المائدة)

- ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (١٥ سورة المائدة)

- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ (٩٥ سورة المائدة)

- ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ (١٠١ المائدة)

- ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ (٩٥ سورة الأحزاب)

تعريف العفو: العفو التجاوز عن ذنوب الآخرين من المسيئين، وترك معاقبتهم على أخطائهم، وهو خصلة حميدة حثت عليها الشرائع الدينية.

معنى العفو كلغة: العفو مصدر عفا يعفو عفواً، فهو عافٍ وعفوٌّ، والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وعفوت عن الحق: أسقطته، كأنك محوته عن الذي عليه.(٦٦)

معنى العفو اصطلاحاً: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب.(٦٧)

العفو في الإسلام: أكد الإسلام كثيراً وبصورة ملفتة للنظر على العفو كخصلة أخلاقية، وركز عليه في مختلف المجالات المتعلقة به والأهم من ذلك، أن العفو، أحد أسماء الله الحسنى، وقد ورد ذكر العفو في القرآن في ٢٣ آية كريمة، وفي العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، وإذا ما علمنا أن الإسلام قد جاء في المجتمع العربي الجاهلي الذي كانت تسود فيه على الأغلب قيم الانتقام والثأر والحقد والضغينة، فإن تأكيد الإسلام على العفو وحثه عليه،

يعني فيما يعني أنه دقّ مسماراً في نعش أفكار ومصطلحات الانتقام والثأر والضغينة ومهد الأرضية المناسبة لإجراء التغيير الجذري في الأفكار والعقول والنفوس بهذا الصدد.

وقد أعطى الإسلام للعفو أهمية ومكانة استثنائية عندما قرنه بالتقوى كما جاء في القرآن الكريم:﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾(٦٨)، بل وقد أعطى الإسلام أكبر درس للمسلمين خصوصاً وللإنسانية عموماً عندما عفا الرسول الأكرم ﷺ، عن أهل مكة عندما دخلها منتصراً فاتحاً فخاطبهم وسألهم وهم بين يديه صاغرين: **(يا أهل مكة ماذا تظنون أني فاعل بكم؟) فقالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)**. هذه الحادثة الهامة والتي فيها الكثير من المعاني العميقة، أكبر وأفضل وأوضح دليل إثبات من التاريخ الإسلامي ومن نبيّه الكريم، على النهج التسامحي الاعتدالي، حيث إن النبي ﷺ، وعلى الرغم من أن أهل مكة سببوا الأذى الكثير للرسول وأهانوه وجرحوه وأجبروه على الخروج من مكة، لكنه لم يبادلهم ظلمهم وإجحافهم وأخلاقهم الفظة الغليظة بمثلها، ولم يقم بقطع رؤوسهم وبمصادرة أموالهم والاستيلاء عليها وسبي نسائهم رغم أن الاجواء المكفهرة والمتجهمة المشحونة بالغضب والحقد كان تحفز على مثل تلك الإجراءات، وإنما عفا عنهم من أجل أن يؤسس للنهج الاعتدالي التسامحي الوسطي في الإسلام ويعطيه مكانة ومنزلة خاصة، وإن الذي يثير السخرية والامتعاض والكثير من التساؤل هو؛ لماذا تسعى الحركات التكفيرية والمتطرفة لجعل حوادث وأمور جانبية فيها الكثير من التناقضات والاختلافات كأساس للاقتداء والتأسّي بها في حين إنها تغضّ

النظر عن هكذا حادثة رئيسة وواضحة وضوح الشمس في عز النهار؟ خصوصاً وأن القرآن الكريم بنفسه يخاطب المسلمين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾(٦٩)، ولا سيما وأن النبي ﷺ، قد عفا عن أهل مكة وفي يديه كل أسباب القوة والغلبة، وكأنه بذلك يريد أن يعطي درساً بليغاً للأمة الإسلامية بالعفو عند المقدرة، وهذا الدرس الأخلاقي البليغ لم يعلمنا إياه الرسول الأكرم لكي نطالعه ونقرأه فقط، وإنما لنطبقه بحذافيره كنهج وأسلوب في حياتنا، فالعفو خصلة أخلاقية حميدة تنزع وتجتث جذور الحقد والكراهية والبغضاء وتنبت مكانها المحبة والألفة والتسامح والتواصل، والحياة أساساً تبنى على أساس من المحبة والتآلف والتصالح والتقارب والتفاهم وكأن النبي الكريم يريد أن يلفت أنظارنا إلى هذه الحقيقة وعدم التغافل عنها.

عندما بادر الرسول الأكرم ﷺ، إلى العفو عن أهل مكة، وقد وضعت الحرب أوزارها بينه وبين أهل مكة وقد خرج منها ظافراً منتصراً، فإنه كان يعرف أن الحياة المدنية لا تؤسس وتقام على أساس مبادئ وقيم الحروب والمواجهات الدموية، ولهذا عندما عفا عن أهل مكة، فإنه ﷺ، كان يؤسس للدولة المدنية التي يجب أن تبنى على المحبة والعفو والتسامح والاعتدال كي يكون هناك تواصل وتقارب وتعاون وتآلف بين مختلف أفراد وشرائح المجتمع من أجل بناء المجتمع النموذجي المنتظر، ذلك أن الأمن الاجتماعي تتم ضمانته وصيانته والمحافظة عليه من خلال درء كافة أخطار وتهديدات الانقسام والاختلاف السلبية عنه، وقد كان واضحاً أن نبيّنا ومعلمنا وقدوتنا يوجه أنظارنا إلى هكذا

مسألة بالغة الأهمية، وإذا ما انتبهنا إلى حقيقة أن بداية الشروع الرئيس لدولة الإسلام قد بدأت بعد فتح مكة، فإننا يجب أن ننتبه إلى أن لبنة «العفو»عن أهل مكة من الكفار والتي أعلنها النبي ﷺ، فإن ذلك يجب أن يصبح بمثابة النبراس للأمة الإسلامية جمعاء، خصوصاً وأن هذا العفو قد كان موجهاً للكفار، فكيف الأمر مع إخوانك المسلمين؟ هل عفا الرسول الأكرم ﷺ، عن كفار مكة وأخلى سبيلهم تماماً ونقوم نحن بقتل وإبادة المسلمين وسبي نسائهم والاستيلاء على أموالهم؟ هذا السؤال يجب أن يوجهه كل مسلم لبيب إلى نفسه أولاً ليعرف الحقيقة ناصعة لأن الإجابة واضحة لا لبس فيها، أما الجماعات التكفيرية والإرهابية فإن أمضى وأقوى سلاح يتم توجيهه ضدها هو سلاح الوعي والإرشاد من خلال التعرف إلى الإسلام الحقيقي، الإسلام المعتدل الوسطي الذي بدأ النبي ﷺ ببناء الدولة الإسلامية بتدشين مفهوم العفو كمصطلح أخلاقي - فكري - تربوي جامع يجمع بين شرائح وأطياف الأمة ويشدها إلى بعضها البعض على أسس من المحبة والتسامح والتواصل المعزز بالألفة والانسجام، ولا ريب أننا ونحن نواجه الأخطار والتهديدات المحدقة والتي تهدف إلى أدلجة الإسلام وجعله وسيلة من أجل تحقيق غايات مشبوهة معادية للإسلام والمسلمين، وخصوصاً أننا إذا أعدنا النظر في ماضي آبائنا وأجدادنا لوجدنا أنهم قد عاشوا سنة وشيعة إلى جانب المسيحي واليهودي والصابئي والأيزدي جنباً إلى جنب ولم يكن هناك حساسية وعداء وكراهية ومواجهة ورفض أبداً، بل إن معظم أبناء هذه الأديان يقرون ويعترفون بأنهم قد عاشوا بأمن وسلام إلى جانب المسلمين ولم يلقوا منهم إلا الخير، والعجب العجب، هو أن أبناء هذه الأديان يستغربون ما تقوم به هذه المجاميع التكفيرية

المتطرفة ويصرون على أن الإسلام يرفض نهجهم جملة وتفصيلاً وهو كما عرفوه وعرفه آباؤهم وأجدادهم.

التاريخ بنفسه يعتبر خير معلم وخير منهاج وخير دليل لكل من يريد أن يتعرف إلى حقائق الأمور وواقعها، وإن إلقاء نظرة على واقع الحياة الاجتماعية من المحيط إلى الخليج، عبر مختلف المراحل التاريخية، تؤكد وتثبت بأن الأقليات الدينية والمذهبية كانت تعيش بأمن وأمان ومنتهى الاطمئنان في كنف روح التسامح والاعتدال المبين للإسلام، ولا غرو في أن الذين يسعون إلى تغيير هذه الحقيقة الدامغة على أرض الواقع وإحلال بديل مشوّه ومحرّف بل وحتى مسخ محله، إنما هم في ضلال مبين، ذلك أن الذي تقبلته العقول الجمعية للمجتمعات ونفوسها وأفئدتها من المستحيل أن يتم تغييره بين عشية وضحاها من خلال جرائم ومجازر تقشعر لها الأبدان، وأن الذي أخفق في تحقيقه الخوارج والفئات الضالة الأخرى ولم تتمكن من فرضه على الأمة الإسلامية، لن تتمكن أبداً الجماعات التكفيرية والمتطرفة والإرهابية من تحقيقه مهما عملت، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد قال في محكم كتابه المبين: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ولم يقل وحاشاه من ذلك أن الانتقام والثأر أقرب للتقوى.

وهذا ما يجب أن ننتبه إليه جميعاً ونركّز عليه ونواجه به كل من يحمل فكراً انتقاميّاً ثأريّاً ظلاميّاً عن الإسلام ونعمل معاً من أجل إعادته إلى رشده وإلى جادة الصواب والحق في الإسلام والتي هي الاعتدال والتسامح والوسطية.

الوسطية في القرآن والسنة النبوية:

كثيرة ومتنوعة النعم والخيرات التي أغدقها الله سبحانه وتعالى على أمة الإسلام، لكن من أهم هذه الأنعم وأكثرها دوراً في إبراز عظمة الإسلام والمضامين الإنسانية والحضارية النيرة التي يحملها، هي الوسطية، وذلك بأن جعل الأمة الإسلامية وسطاً خياراً عدولاً عندما قال عز وجل في كتابه الكريم:﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(٧٠)، أما في الحديث الشريف: (عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قال: **عدلاً**). (٧١) الأمة الإسلامية هي التي وصفها الله تعالى بالقول:﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(٧٢)، وكذلك هي الأمة التي خاطبها عز وجل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(٧٣)، وكما هو واضح كل الوضوح، فإن الله سبحانه وتعالى ومن خلال الآيات الواردة أعلاه، قد حدد نهجاً ومساراً عامّاً للأمة الإسلامية، خصوصاً عندما شرّفها بجعلها شهداء على الناس، أي على الخليقة كلها، فيما لو كانوا متمسكين بمبادئه وقيمه الأساسية التي حددها في الآيات الأخرى التي تحث على الوسطية والاعتدال، خصوصاً وأن الله تعالى ومن خلال هذه الآيات قد حدد المسار الإنساني من الدنيا إلى الآخرة وحدد كذلك ضرورة التوازن والتوفيق بين رغبات الدنيا ومطالب

الآخرة وليس الانصراف إلى جانب وترك الجانب الآخر.

المشكلة الأساسية، بل وفي نظرنا أم المشاكل، هم أولئك الذين يعتبرون فهمهم وتفسيرهم أو حتى فهم وتفسير غيرهم أساساً لتعاملهم وتعاطيهم مع الآخرين، وأخطر ما في هذه الحالة هي فيما لو كان هذا الفهم والتفسير خاطئاً أو غير مصيب ودقيق في فهم واستيعاب النص الديني، وإن معظم الذين أصابهم داء الغلوّ والتطرف هم من الذين تقوقعوا داخل إطار تفسير وفهم خاطئ لنص أو نصوص دينية بحيث جعلوا الشريعة الإسلامية السمحاء بكل عظمتها وسماحتها واعتدالها رهينة ذلك الفهم والتفسير الخاطئ وغير الصحيح، كما أن هناك مشكلة أخرى، وهي جعل الفهم الإنساني للقرآن فهماً أقرب إلى الصنمية، بمعنى أن يتم حصر وتأطير الآيات القرآنية وتحديدها بحالة تعبيرية أو تفسيرية محددة للواقع الموضوعي، في حين إن الحياة كما نراها عبارة عن حركة للأمام، حركة نرى ونشهد ونلمس فيها التطورات على مختلف الأصعدة حيث تطرأ في سياقها حالات وأمور مستجدة وطارئة لم تكن قد مرت بآبائنا وأجدادنا، ومن جرائها تطرأ أسئلة واستفسارات وإشكالات شرعية، فهل يجب على الشارع أن يقول بأن هذه الحالة لم تكن موجودة من قبل ولذلك ليس هناك من موقف حيالها، أو في حالة أخرى التهرب منها أو إعطاء إجابات أو فتاوى ضبابية غير واضحة تماماً كما هو حال البعض في مواقفهم إزاء الجماعات المتطرفة الإرهابية حيث لديهم ثمة إشكالات بشأن تكفيرها، رغم أننا نعتقد بأن الخروج على أصل وأساس الإسلام، أي الوسطية والاعتدال ونفي أو رفض هذا الأصل، يعتبر خروجاً على الإسلام، ولذلك

فإنه ليس هناك من حيز أو مجال كي نعتبره ضمن دائرة الإسلام.

شريعة الإسلام، طلبت من المسلمين كل ما فيه اليسر والتيسير ورفضت الشدة والتعسير، إذ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٧٤) ولذلك لم يطالب الإنسان المسلم بتكاليف ترهقه، وإذا ما قمنا بمراجعة القرآن الكريم والسُّنة النبوية، لوجدناهما قد أكّدا على هذه الحقيقة وفي مختلف المجالات، وهي تثبت وتؤكد بأن الوسطية والاعتدال هي الأرضية والأساس الذي بني عليه صرح الإسلام، ولا غرو في أن مراجعة تلك النصوص المختلفة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية تبيّن وتثبت بمنتهى الجلاء من أن الوسطية والاعتدال أمر واقع في الإسلام لا يمكن تخطيه وتجاوزه بثمة قراءات وتفاسير محددة لبعض النصوص الدينية، فالأصل يبقى أصلاً لأن البناء قد تمّ تشييده عليه.

أولاً: الاعتدال والوسطية في القرآن الكريم

آيات عامة في الاعتدال والتوسط:

قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(١٤٣، البقرة). هنا يحدد الله عز وجل الأمة الإسلامية على أنها أمة وسطية معتدلة لا إفراط لها ولا تفريط.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾(٢٨٦، البقرة). في هذه الآية، إرشاد وبيان من الله سبحانه وتعالى للمسلمين كي يطلبوا التخفيف والتساهل معهم في الواجبات العبادية وفي العقوبات بحيث لا تكون كما كانت مع الأمم الأخرى.

قال عز وجل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾(٧٧، القصص). يطلب الله عز وجل هنا من الإنسان المسلم أن يسلك طريقاً وسبيلاً وسطاً بين آخرته ودنياه ومن خلال ذلك يرسم خط حياته.

آيات التوسط والاعتدال في العقيدة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾. هنا، توضيح من الله تعالى للمسلمين بأن يحذروا

من الذين يلهثون خلف أهوائهم وشهواتهم من أصحاب الزيغ والضلال الذين يريدون أن يفرط المسلم بدينه أولاً ومن ثم الإفراط في التيه والضلال عن طريق الحق والصواب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾(١٧١، النساء). آية تنهى وبصورة قطعية عن الغلوّ في الدين والتعصب بصورة عمياء له بحيث تدفعه إلى الضلال من حيث لا يدري.

قال عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣﴾(٤٣، غافر). الإسراف هو ضد الاعتدال والوسطية، وإن الذين يسرفون هم أناس مغالون في مختلف أمورهم ولا سيما في دينهم، ولهذا فعلى المسلم الحذر من أن يكون من ضمن المسرفين.

آيات التوسط والاعتدال في العبادات:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١٨٥، البقرة). هذه الآية متعلقة بالصوم، ومفادها أن الله سبحانه وتعالى يريد بعباده اليسر في شعيرة الصوم.

قال تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢٨٦، البقرة). ومعناها واضح من أنه عز وجل لا يريد أن يكلف عباده أكثر من طاقتهم.

قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾(الأنعام، ١٤١)، وتتعلق هذه الآية بأداء فريضة الزكاة في الزرع والثمار، حيث يأمرنا عز وجل بأن لا نسرف في أداء الحق منعاً، ولا نسرف في أداء الحق زيادة عن الحد المعلوم.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(١٦، التغابن). يأمر الباري عز وجل عباده في هذه الآية، بأن يكون امتثالهم لأوامره على قدر استطاعتهم وإمكانيتهم، من دون مغالاة ومن دون إهمال بحجة عدم الاستطاعة.

آيات التوسط والاعتدال في المعاملات الاجتماعية:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾(٢٨، النساء). تتعلق باختيار زوجة صالحة.

قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٨، المائدة). هذه الآية تطالب بعدم المغالاة والتمادي في التعامل مع الآخرين وعدم الإجحاف بهم حتى لو كانوا غير مسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾(٣١، الأعراف). هذه الآية تطالب بعدم الإسراف في الطعام والشراب والاعتدال في ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٣٢، الأعراف). يرفض الله عز وجل تحريم استعمال الزينة وأكل الطيبات حيث إن تركها يعتبر من المغالاة.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾(١٨، لقمان). وقال تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(١٩، لقمان). وفي هاتين الآيتين، وصية الحكيم لقمان لابنه بأن يتعامل مع الناس باعتدال من دون تكبر أو ما شابه.

آيات التوسط والاعتدال في المعاملات المالية:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾(الآيتان ٢٦، ٢٧، الإسراء). هاتان الآيتان تنهيان عن التبذير في الإنفاق.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾(٢٩، الإسراء). تشبيه للبخيل الذي يبالغ في بخله وتقتيره بأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه أي يحجم عن صرف أمواله ويتمادى في ذلك، وفي الوقت نفسه تشبيه للمبذر الذي لا يبقي من مال بيده ولا يعمل حساباً لغده ومستقبله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾(٦٧، الفرقان). هذه الآية الكريمة تحدد وبمنتهى الدقة والإبداع المسلم الوسطي كيف يكون في تصرفه بأمواله.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٩، الحشر). تتناول هذه الآية أولئك الذين أفلحوا بالتخلص من مرض وعادة البخل فصاروا من المفلحين.

ثانياً: الاعتدال والوسطية في السُّنة النبوية

الأحاديث النبوية العامة في التوسط والاعتدال:

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: **آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ:(صدق سلمان).(٧٦)**

وعن عبدالله بن سرخس المزني أن النبي ﷺ قال: **(السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد؛ جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة).(٧٧)**

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فإنه يبلغه إلى الأخرى، ولا تكونوا كَلّاً على الناس).(٧٨)**

الأحاديث النبوية التي ذكرت في التوسط والاعتدال في العبادات:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال:(من هذه؟) قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: (مه(٧٩)، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه). (٨٠)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: (ما هذا؟) قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: (حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر قعد).(٨١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!!!، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).(٨٢)

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً.(٨٣)

الأحاديث النبوية في الاعتدال والتوسط في الصلاة:

عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ ١١٠ الإسراء، قال: **نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، فيسمع المشركون قراءتك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، عن أصحابك، أسمعهم القرآن، ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾، يقول بين الجهر والمخافتة.(٨٤). وفي هذا الحديث الشريف الكثير من المعاني والعبر الثرّة، حيث إذا كان يجب الاعتدال في صوت قراءة القرآن، فكيف الحال مع مجالات الحياة الأخرى؟**

الأحاديث النبوية في التوسط والاعتدال في الصوم:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: **كنا مع النبي ﷺ في غزوة غزاها، وذلك في رمضان، فصام رجل من أصحاب النبي ﷺ فضعف ضعفاً شديداً، وكاد العطش أن يقتله، وجعلت ناقته تدخل تحت العضاه، فأخبر به النبي ﷺ فقال: (ائتوني به)، فأتي به فقال: (ألست في سبيل الله ومع رسول الله ﷺ، أفطر)، فأفطر.(٨٥)**

الأحاديث النبوية في التوسط والاعتدال في شعيرة الحج:

عن ابن عباس: **قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: (هات القط لي)، فلقطت له حصيات هن حصى الحذف، فلما وضعتهن في يده، قال: (بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين).(٨٦)**

الأحاديث النبوية في التوسط والاعتدال في العقيدة:

عن حنظلة الأسيدي - وكان من كتّاب رسول الله ﷺ - قال: **لقيني أبو بكر ، فقال: كيف أنت يا حنظلة، قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً. قال أبو بكر:**

فوالله إنّا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله!! فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك؟) قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر؛ لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة -ثلاث مرات-).(٨٧)

وفي حديث نبوي آخر يرفع إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، **قال النبي ﷺ: (روّحوا عن أنفسكم ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلّت عميت).**

الأحاديث النبوية في مجال التوسط والاعتدال في العلاقات الاجتماعية:

عن عائشة عنها قالت: **جاءت هند إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، ولاينفق عليّ وولدي ما يكفيني، أفآخذ من ماله ولا يشعر؟ قال: (خذي ما يكفيك وولدك، بالمعروف).(٨٨)**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(من فقه الرجل رفقه في معيشته).(٨٩)**

من خلال ما قد سردنا ذكره من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، تعتبر من المباني والمقومات الأساسية في الإسلام، فإن الاعتدال والوسطية هي الأصل في الصراط المستقيم الذي حدده الله سبحانه وتعالى لنا كمسلمين كما في الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٩٠)، وإن الابتعاد عن الصراط المستقيم الذي هو الاعتدال والوسطية كفيل بالانحراف أو حتى الابتعاد عن جادة الحق والصواب كما رسمها الله عز وجل لكل مسلم، وإن

الإسلام قد حدد بكل دقة وعناية للأمة الإسلامية منهج الوسطية والاعتدال من جميع جوانبه أصولاً وفروعاً وعقيدة وعبادة وخلقاً وسلوكاً وتصوراً وعملاً.

الوسطية في الإسلام، وكما هو معلوم في المعنى الفقهي لها، هي الحد الوسط بين الغلوّ والجفاء، أو الإفراط والتفريط، ذلك أنه وبعد أن (هدم الإسلام الوحدة القبلية، والوحدة الجنسية، وكره التفاضل بشرف القبيلة أو شرف الجنس، وعلم أن معتنقي الإسلام كلهم كتلة واحدة، لا تفاضل بين أفرادها إلا بطاعة الله وتنفيذ أمره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ١٠ الحجرات، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ١٣ الحجرات. وفي الحديث: **(ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل بعصبية)**.(٩١) فإن الإسلام لم يشأ أن يبني مجتمعاً يجنح للتشدد والانغلاق على النفس ويبدل العصبية القبلية بغلوّ وتمادٍ غير عادي فيما يؤمن به ضمن أطر ضيقة، وإن الإسلام الذي حث المسلمين على أن يكونوا مصداقاً لما ورد في الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**(٩٢)، أو كما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾(٩٣)، وإن إرساء دعائم هكذا توجه فكري. تربوي. أخلاقي، من الصعب أن يحقق أهدافه من دون أن يكون مقترناً بالمحبة والتآلف حيث إن أهم عامل ودافع للتضحية والإيثار والخروج من دائرة الأنانية هو المحبة والتآلف، ولذلك لم يكن غريباً على الإسلام التأكيد على قضايا المحبة والتآلف والتراحم كثيراً وإن ما جاء في الحديث الشريف:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٩٤)، ولذلك كان لا بد أن يكون هناك معالم وسمات تختص بالوسطية والاعتدال في الإسلام وهي التي يسير عليها معظم أبناء الأمة الإسلامية بعفوية وتلقائية تلقوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم، لكن في الوقت نفسه، فإنه من الضروري أن نوضح هنا، معالم وسمات الوسطية والاعتدال في الإسلام والتي تتحدد بما يلي:

- **سمة ومعلم الخيرية**: ذلك أنه وتبعاً للآية الكريمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٩٥)، فالخيرية وحب الخير للبشرية كلها هي إحدى السمات الأساسية للوسطية.

- **سمة ومعلم العدل**: فليست الوسطية والاعتدال هو أن تترك الأمور على عواهنها وإنما هناك شرط تحقق العدل والإنصاف في كل ما يبدر من المسلم حتى يكون مصداقاً لمن يسير في الصراط المستقيم.

- **سمة ومعلم اليسر ورفع الحرج**: فالإسلام كما عرفنا لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يحمّل الإنسان ما لا طاقة له به كما أنه ييسر له الأمور ولا يجعله في وضع الإحراج في مختلف المجالات.

- **سمة ومعلم البينية**: الوسطية والاعتدال كما قلنا خط فاصل بين حالتين متناقضتين، وقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٩٦)، فالإسلام قد سلك حدّاً وسطاً بين تشدد الديانة اليهودية وتساهل وليونة الديانة المسيحية.

- **سمة ومعلم الحكمة:** هناك حكمة إلهية من وراء الوسطية والاعتدال كنهج وخط وصراط أساسي في الإسلام يوضح حقيقة وماهية وجوهر الإسلام.

- **سمة ومعلم الاستقامة:** لكي تكون وسطيّاً ومعتدلاً جامعاً للشرائط المطلوبة، يجب عليك الاستقامة في الأمور المتعلقة بك من مختلف النواحي.

الإسلام بني على الوسطية والاعتدال

عقيدة التوحيد التي دعا إليها الإسلام وتعتبر حجر الزاوية فيه، جاءت في مرحلة كان يعيش فيه العرب حالة من التشتت الفكري - النفسي بسبب خضوعهم للكثير من القضايا والأمور الوثنية والقبلية والنفسية والاجتماعية وغيرها، ولعل الوصف الذي جاء على لسان ابن خلدون للعرب، توضح صعوبة المهمة التي كانت تنتظر الإسلام في تحقيق التغيير المنشود في الجزيرة العربية، حيث قال: «وهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة. وهم أبعد الناس عن الصنائع، لأنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها، ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب من قطر آخر. وهم أبعد الناس عن العلوم لأن العلوم ذات ملكات، محتاجة إلى التعليم، فاندرجت في جملة الصنائع، والعرب أبعد الناس عنها كما قدمنا، فصارت العلوم لذلك حضرية، وبعد العرب عنها وعن سوقها، والحضر لذلك هم العجم أو من في معناهم من الموالي، ولذلك كان حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم أو المستعجمون باللغة والمربى، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم»(٩٧). وقطعاً فإن أمة صعبة المراس وغريبة الطباع تأخذها الأنفة والعزة بالنفس بعيداً، ليس من السهل أبداً دفعها للانقياد والرضوخ لفكرة الاعتقاد بإله واحد وتجاهل كل شيء دون ذلك. وهنا نجد من المفيد جدّاً الكلام عن التوحيد وأهميته

ودوره عند الإنسان، فذلك مدخل مهم جدّاً وذو علاقة قوية بأصل بحثنا في كتابنا هذا. وهنا، نجد من اللازم والضروري، ذكر جانب البحث الشيق والهام الذي أورده صاحب الميزان بخصوص التوحيد حيث يقول فيه:«ومن أظهر مصاديق هذا الاختلاف الفهمي اختلاف أفهام الناس في تلقي معنى توحده تعالى لما في أفهامهم في الاختلاف العظيم والنوسان الوسيع في تقرير مسألة وجوده تعالى على ما بينهم في الاتفاق على ما تعطيه الفطرة الإنسانية بإلهامها الخفي وإشارتها الدقيقة. فقد بلغ فهم آحاد من الإنسان في ذلك أن جعل الأوثان المتخذة، والأصنام المصنوعة من الخشب والحجارة حتى من نحو الأقط والطينة المعمولة من أبوال الغنم شركاء لله، وقرناء له، يعبد كما تعبد هؤلاء، ويسأل كما تسأل هؤلاء، ويخضع له كما يخضع لها، ولم يلبث هذا الإنسان دون أن غلب هذه الأصنام عليه تعالى بزعمه، وأقبل عليها وتركه، وأمّرها على حوائجه وعزله. فهذا الإنسان قصارى ما يراه من الوجود له تعالى هو مثل ما يراه لآلهته التي خلقها بيده، أو خلقها إنسان مثله بيده، ولذلك كانوا يثبتون له تعالى من صفة الوحدة مثل ما يصفون به كل واحد من أصنامهم، وهي الوحدة العددية التي تتألف منها الأعداد، قال تعالى:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾الآيتان ٤-٥ ص. فهؤلاء كانوا يتلقون الدعوة القرآنية إلى التوحيد دعوة إلى القول بالوحدة العددية التي تقابل الكثرة العددية كقوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾١٦٣ البقرة، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾٦٥ غافر. وغير ذلك من الآيات الداعية إلى رفض الآلهة الكثيرة، وتوجيه الوجه لله الواحد، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ

وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾، وغيره من الآيات الداعية إلى رفض التفرق في العبادة للآلهة، حيث كانت كل أمة أو طائفة أو قبيلة تتخذ إلهاً تختص به، ولا تخضع لإله الآخرين. والقرآن ينفي في عالي تعليمه الوحدة العددية عن الإله جل ذكره، فإن هذه الوحدة لا تم إلا بتميز هذا الواحد في ذلك بالمحدودية التي تقهره، والمقدرية التي تغلبه.

مثال ذلك: ماء الحوض إذا فرقناه في آنية كثيرة كان ماء كل إناء ماء واحداً غير الماء الواحد الذي في الإناء الآخر، وإنما صار ماء واحداً يتميز عما في الآخر لكون ما في الآخر مسلوباً عنه غير مجتمع معه، وكذلك هذا الإنسان إنما صار إنساناً واحداً لأنه مسلوب عنه ما للإنسان الآخر، ولولا ذلك لم يأت للإنسانية الصادقة على هذا وذاك أن تكون واحدة بالعدد ولا كثيرة بالعدد. فمحدودية الوجود هي التي تقهر الواحد العددي على أن يكون واحداً، ثم بانسلاب هذه الوحدة من بعض الجهات تتألف كثرة عددية كما عند عروض صفة الاجتماع بوجه. وإذا كان الله سبحانه قاهراً غير مقهور، وغالباً لا يغلبه شيء البتة كما يعطيه التعليم القرآني، لم تتصور في حقه وحدة عددية ولا كثرة عددية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ ١٦ الرعد، وقال: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ الآيتان ٣٩ -٤٠ يوسف، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ ٦٥ ص، وقال: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ ٤ الزمر. والآيات بسياقها. كما ترى. تنفي كل وحدة مضافة إلى كثرة مقابلة لها سواء كانت وحدة عددية

كالفرد الواحد من النوع الذي لو فرض بإزائه فرد آخر كانا اثنين فإن هذا الفرد مقهور بالحد الذي يحده به الفرد الآخر المسلوب عنه المفروض قباله، أم كانت وحدة نوعية أم جنسية أم أيّ وحدة كلية مضافة إلى كثرة من سنخها كالإنسان الذي هو نوع واحد مضاف إلى الأنواع الكثيرة الحاصلة منه ومن الفرس والبقر والغنم وغيرها فإنه مقهور بالحد الذي يحده به ما يناظره من الأنواع الأخر، وإذا كان تعالى لا يقهره شيء في شيء البتة من ذاته ولا صفته ولا فعله وهو القاهر فوق كل شيء فليس بمحدود في شيء يرجع إليه، فهو موجود لا يشوبه عدم، وحق لا يعرضه بطلان، وهو الحي لا يخالطه موت، والعليم لا يدب إليه جهل، والقادر لا يغلبه عجز، والمالك والملك من غير أن يملك منه شيء، والعزيز الذي لا ذل له، وهكذا. فله تعالى من كل كمال محضه، وإن شئت زيادة تفهم وتفقه لهذه الحقيقة القرآنية فافرض أمراً متناهياً وآخر غير متناهٍ تجد غير المتناهي محيطاً بالمتناهي بحيث لا يدفعه المتناهي عن كمال المفروض أي دفع فرضته، بل غير المتناهي مسيطر عليه بحيث لا يفقده المتناهي في شيء من أركان كماله، وغير المتناهي هو القائم على نفسه، الشهيد عليه، المحيط به، ثم انظر في ذلك إلى ما يفيده قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ الآيتان ٥٣-٥٤ فصلت. وهذا هو الذي يدل عليه عامة الآيات الواصفة لصفاته تعالى الواقعة في سياق الحصر أو الظاهر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ ٨ طه، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ ٢٥ النور، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ٦٥ غافر، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ ٥٤ الروم، وقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ١٦٥ البقرة، وقوله: (له

الملك وله الحمد)، وقوله:﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾٦٥ يونس، وقوله:﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾١٤٧ البقرة، وقوله:﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾١٥ فاطر، إلى غير ذلك من الآيات. فالآيات _كما ترى _ تنادي بأعلى صوتها أن كل كمال مفروض فهو لله سبحانه بالأصالة، وليس لغيره شيء إلا بتمليكه تعالى له ذلك من غير أن ينعزل عما يملكه ويملكه كما ننعزل نحن معاشر الخليقة عما ملكناه غيرنا. فكلما فرضنا شيئاً من الأشياء ذا شيء من الكمال في قباله ليكون ثانياً له وشريكاً عاد ما بيده من معنى الكمال لله سبحانه محضاً، وهو الحق الذي يملك كل شيء، وغيره الباطل الذي لا يملك لنفسه شيئاً قال تعالى:﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ ، الفرقان:٣. وهذا المعنى هو الذي ينفي عنه تعالى الوحدة العددية إذ لو كان واحداً عددياً أي موجوداً محدوداً منعزل الذات عن الإحاطة بغيره من الموجودات صح للعقل أن يفرض مثله الثاني له، سواء كان جائز التحقق في الخارج أو غير جائز التحقق، وصح عند العقل أن يتصف بالكثرة بالنظر إلى نفسه وإن فرض امتناعه في الواقع، وليس كذلك. فهو تعالى واحد بمعنى أنه من الوجود بحيث لا يحد بحد حتى يمكن فرض ثانٍ له فيما وراء ذلك الحد وهذا معنى قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، فإن لفظ أحد إنما يستعمل استعمالاً يدفع إمكان فرض العدد في قباله يقال: **(ما جاءني أحد)** وينفي به أن يكون قد جاء الواحد وكذا الاثنان والأكثر. وقال تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾، التوبة: ٦، فشمل الواحد والاثنين والجماعة ولم يخرج عن حكمه عدد، وقال تعالى:﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾،

النساء: ٤٣، فشمل الواحد وما وراءه، ولم يشذ منه شاذ. فاستعمال لفظ أحد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، في الإثبات من غير نفي ولا تقييد بإضافة أو وصف يفيد أن هويته تعالى بحيث يدفع فرض من يماثله في هويته بوجه، سواء كان واحداً أم كثيراً فهو محال بحسب الفرض الصحيح مع قطع النظر عن حاله بحسب الخارج. ولذلك وصفه تعالى أولاً بأنه صمد، وهو المصمت الذي لا جوف له ولا مكان خالياً فيه. وثانياً بأنه لم يلد. وثالثاً بأنه لم يولد. ورابعاً بأنه لم يكن له كفواً أحد. وكل هذه الأوصاف مما يستلزم نوعاً من المحدودية والانعزال. وهذا هو السر في عدم وقوع توصيفات غيره تعالى عليه حق الوقوع والاتصاف قال تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٠﴾ الصافات: ١٥٩ - ١٦٠، وقال تعالى:﴿ولا يحيطون به علما﴾ ١١٠ طه، فإن المعاني الكمالية التي نصفه تعالى بها أوصاف محدودة، وجلّت ساحته سبحانه عن الحد والقيد، وهو الذي يرومه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمته المشهورة: **(لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**(٩٨). عقيدة التوحيد بهذا الوصف القرآني الشامل والمفعم بحقائق عقلية وعلمية داحضة، هي التي صارت البديل لذلك الأفق الضيق للعقلية الجاهلية المحاصرة بالعجز والقصور ليس عن فهم الواقع الموضوعي وإنما حتى الذاتي قبل ذلك، ولذلك فقد كان الإنسان في المجتمع الجاهلي كفرد، أو كمجتمع، ولكونه يخضع لأفكار ضيقة محدودة الأفق، فإن أفكاره وقيمه ومبادئه وقوانينه التي كان يتعامل بها على مختلف الأصعدة، كانت هي الأخرى تتسم بالمحدودية والنقص، وتغلب عليها المسائل النفسية والعصبية بصورة كبيرة، والذي فعلته وقامت به عقيدة التوحيد، هو تحرير عقلية الإنسان الجاهلي خصوصاً والإنسانية عموماً من هذه

المحدودية والنقص بأن جعلتها تنبذ الأفكار والقيم والمعطيات التي تجعلها أسيرة للتحديد والنقص ومنحتها فضاءات واسعة لكي تنطلق باتجاه الكمال وسد حالات العجز والنقص والتحديد، وهذه العقيدة جعلت هذا المجتمع الجاهلي المنطوي على نفسه بقيم وأفكار بالية ومتحجرة والمعتمد في حياته على الإغارة على الآخرين وسلبهم، يصبح مجتمعاً نموذجياً وله قيم ومبادئ تصلح للبشرية كلها كي تعيش في ظلها بأمن وسلام.

عندما خاطب الرسول الأكرم ﷺ، أهالي مكة قائلاً: **(يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)**(٩٩)، فإنه كان يؤسس للمرتكز الأساسي الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية مثلما أنه قلب وروح وجوهر الوسطية والاعتدال فيه، ذلك أن الله سبحانه وتعالى، هو عز وجل منبع الرحمة والعطف والعدل والعفو والمغفرة وعندما يكون الله الواحد الأحد، هو الجامع والأساس لكل معاني وقيم الرحمة والعطف والتسامح والعفو والرأفة، وهو الذي يصف رحمته المتناهية، يقول جل وعلا: ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ (١٠٠)، وهنا، نجد أنه سبحانه وتعالى قد حدد عذابه عندما قال: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ ﴾، لكنه أطلق العنان لرحمته فقال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾، وبهذا يريد الله سبحانه وتعالى أن يفهم الإنسان، بأن رحمته ينالها كل من على وجه البسيطة، المؤمن والكافر وكل أنواع المخلوقات والموجودات الأخرى، وهنا نجد من المناسب جدّاً ذكر الحديث

النبوي الشريف: **(ليتخلّقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجاعلهم)** (١٠١) وكذلك الحديث الشريف الذي يقول فيه ﷺ: **(تخلّقوا بأخلاق الله تعالى)**(١٠٢)، وعندما نصل إلى قضية الأخلاق وهي قضية لها أهمية بالغة في الإسلام، خصوصاً وأنه عز وجل قد وصف رسوله الكريم ﷺ، في القرآن الكريم بقوله:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(١٠٣)، وقد قال النبي الأكرم ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**(١٠٤)، فإن العفو والمغفرة والتسامح والمحبة والصفح عن الآخرين، نجدها من الركائز الأساسية التي يجب أن يبنى على أساسها المحتوى والمضمون الأخلاقي للشخصية المسلمة، وإن هذه الركائز هي التي يستند إليها مفهوم الاعتدال والوسطية في الإسلام، وبطبيعة الحال فإن لكل شيء وأمر في الدنيا سبباً وعلة، وليس هناك من شيء أو أمر من تلقاء نفسه، وإن الفضاء الأخلاقي الذي يشكل جانباً بالغ الأهمية لدى الإنسان المسلم سواء على الصعيد الفردي أم الاجتماعي، يحتاج هو أيضاً إلى الأساس الذي يعتمد ويستند إليه، وهذا الأساس يأتي من إدافة ومزج الإيمان بالأخلاق الكريمة، فبهما وكما يقول صاحب الميزان في تفسير القرآن، يسعد القانون، ونجد من المناسب جدّاً ذكر جانب من بحث ديني _أخلاقي للعلامة الطباطبائي لما له من أهمية وعلاقة كبيرة بما نطرحه هنا، حيث يقول في فصل بعنوان: **(القانون والأخلاق الكريمة والتوحيد)** لا يسعد القانون إلا بإيمان تحفظه الأخلاق الكريمة والأخلاق الكريمة لا تتم إلا بالتوحيد فهو الأصل الذي تنمو عليه شجرة السعادة الإنسانية وتتفرع بالأخلاق الكريمة، وهذه الفروع هي التي تثمر ثمراتها الطيبة في المجتمع، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

﴿ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ ،إبراهيم: ٢٤-٢٦، فجعل الله الإيمان بالله كشجرة لها أصل وهو التوحيد لا محالة **(وأكل تؤتيه كل حين بإذن ربها)** وهو العمل الصالح، وفرع وهو الخلق الكريم كالتقوى والعفة والمعرفة والشجاعة والعدالة والرحمة ونظائرها. قال تعالى:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، فاطر:١٠، فجعل سعادة الصعود إلى الله وهو القرب منه تعالى للكلم الطيب وهو الاعتقاد الحق وجعل العمل الذي يصلح له ويناسبه هو الذي يرفعه ويمده في صعوده.

بيان ذلك: إن من المعلوم أن الإنسان لا يتم له كماله النوعي ولا يسعد في حياته التي لا بغية له أعظم من إسعادها إلا باجتماع من أفراد يتعاونون على أعمال الحياة على ما فيها من الكثرة والتنوع وليس يقوى الواحد من الإنسان على الإتيان بها جميعاً.

وهذا هو الذي أحوج الإنسان الاجتماعي إلى أن يتسنن بسنن وقوانين يحفظ بها حقوق الأفراد من الضيعة والفساد حتى يعمل كل منهم ما في وسعه العمل به، ثم يبادلون أعمالهم فينال كل من النتائج المعدة ما يعادل عمله ويقدره وزنه الاجتماعي من غير أن يظلم القوي المقتدر أو يظلم الضعيف العاجز.

ومن المسلّم أن هذه السنن والقوانين لا تثبت مؤثرة إلا بسنن وقوانين أخرى جزائية تهدد المتخلفين عن السنن والقوانين المتعدين على حقوق ذوي الحقوق،

وتخوفهم بالسيئة قبال السيئة وبأخرى تشوقهم وترغبهم في عمل الخيرات وتضمن إجراء الجميع القوة الحاكمة التي تحكم فيهم وتسيطر عليهم بالعدل والصدق.

وإنما تتحقق هذه الأمنية إذا كانت القوة المجرية للقوانين عالمة بالجرم وقوية على المجرم، وأما إذا جهلت ووقع الإجرام على جهل منها أو غفلة. وكم له من وجود. فلا مانع يمنع من تحققه، والقوانين لا أيدي لها تبطش بها، وكذا إذا ضعفت الحكومة بفقد القوى اللازمة أو مساهلة في السياسة والعمل فظهر عليها المجرم أو كان المجرم أشد قوة ضاعت القوانين وفشت التخلفات والتعديات على حقوق الناس، والإنسان _ كما مر في المباحث السابقة من هذا الكتاب _ مستخدم بالطبع يجر النفع إلى نفسه ولو أضر غيره.

وتشتد هذه البلوى إذا تمركزت هذه القوة المجرية أو من يتولى أزمة جميع الأمور فاستضعف الناس وسلب منهم القدرة على رده إلى العدل وتقويمه بالحق فصار ذا قوة وشوكة لا يقاوم في وقته ولا يعارض في إرادته.

والتواريخ المحفوظة مملوءة بقصص الجبابرة والطواغيت وتحكماتهما الجائرة على الناس، وهو ذا نصب أعيننا في أكثر أقطار الأرض.

فالقوانين والسنن وإن كانت عادلة في حدود مفاهيمها، وأحكام الجزاء وإن كانت بالغة في شدتها لا تجري على رسلها في المجتمع ولا تسد باب الخلاف وطريق التخلف إلا بأخلاق فاضلة إنسانية تقطع دابر الظلم والفساد كملكة اتباع الحق واحترام الإنسانية والعدالة والكرامة والحياة ونشر الرحمة

ونظائرها.

ولا يغرنك ما تشاهده من القوة والشوكة في الأمم الراقية والانتظام والعدل الظاهر بينهم ولم توضع قوانينهم على أسس أخلاقية حيث لا ضامن لإجرائها فإنهم أمم يفكرون فكرة اجتماعية لا يرى الفرد منهم إلا نفع الأمة وخيرها ولا يدفع إلا ما يضر أمته، ولا هم لأمته إلا استرقاق سائر الأمم الضعيفة واستدرارهم، واستعمار بلادهم، واستباحة نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، فلم يورثهم هذا التقدم والرقي إلا نقل ما كان يحمله الجبابرة الماضون على الأفراد إلى المجتمعات فقامت الأمة اليوم مقام الفرد بالأمس، وهجرت الألفاظ معانيها إلى أضدادها تطلق الحرية والشرافة والعدالة والفضيلة ولا يراد بها إلا الرقّية والخسة والظلم والرذيلة.

وبالجملة السنن والقوانين لا تأمن التخلف والضيعة إلا إذا أُسست على أخلاق كريمة إنسانية واستظهرت بها.

ثم الأخلاق لا تفي بإسعاد المجتمع ولا تسوق الإنسان إلى صلاح العمل إلا إذا اعتمدت على التوحيد وهو الإيمان بأن للعالم _ ومنه الإنسان _ إلهاً واحداً سرمديّاً لا يعزب عن علمه شيء، ولا يغلب في قدرته عن أحد، خلق الأشياء على أكمل نظام لا لحاجة منه إليها وسيعيدهم إليه فيحاسبهم فيجزي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته ثم يخلدون منعمين أو معذبين.

ومن المعلوم أن الأخلاق إذا اعتمدت على هذه العقيدة لم يبق للإنسان هم إلا مراقبة رضاه تعالى في أعماله، وكانت التقوى رادعاً داخلياً له عن ارتكاب

الجرم، ولولا ارتضاع الأخلاق من ثدي العقيدة عقيدة التوحيد لم يبق للإنسان غاية في أعماله الحيوية إلا التمتع بمتاع الدنيا الفانية والتلذذ بلذائذ الحياة المادية، وأقصى ما يمكنه أن يعدل به معاشه فيحفظ به القوانين الاجتماعية الحيوية أن يفكر في نفسه أن من الواجب عليه أن يلتزم القوانين الدائرة حفظاً للمجتمع من التلاشي وللاجتماع من الفساد، وأن من اللازم عليه أن يحرم نفسه من بعض مشتهياته ليحتفظ به المجتمع فينال بذلك البعض الباقي، ويثني عليه الناس ويمدحونه ما دام حيّاً أو يكتب اسمه في أوراق التاريخ بخطوط ذهبية.

أما ثناء الناس وتقديرهم العمل، فإنما يجري في أمور هامة عملوا بها، أما الجزئيات وما لم يعملوا بها كالأعمال السرية فلا وقاء يقيها، وأما الذكر الجاري والاسم السامي ويؤثر غالباً فيما فيه تفدية وتضحية من الأمور كالقتل في سبيل الوطن وبذل المال والوقت في ترفيع مباني الدولة ونحو ذلك فليس ممن يبتغيه ويذعن به ثم لا يذعن بما وراء الحياة إلا اعتقاداً خرافيّاً إذ لا إنسان _ على هذا _ بعد الموت والفوت حتى يعود إليه شيء من النفع بثناء أو حسن ذكر وأيّ عاقل يشتري تمتع غيره بحرمان نفسه من غير أيّ فائدة عائدة، أو يقدم الحياة لغيره باختيار الموت لنفسه وليس عنده بعد الموت إلا البطلان والاعتقاد الخرافي يزول بأدنى تنبه والتفات.

فقد تبين أن شيئاً من هذه الأمور ليس من شأنه أن يقوم مقام التوحيد، ولا أن يخلفه في صد الإنسان عن المعصية ونقض السنن والقوانين، وخاصة إذا كان العمل مما من طبعه أن لا يظهر للناس، وخاصة إذا كان من طبعه أن لو ظهر ظهر على خلاف ما هو عليه لأسباب تقتضي ذلك كالتعفف الذي يزعم

أنه كان شرهاً وبغياً كما تقدم من حديث مراودة امرأة العزيز يوسف عليه السلام، وقد كان أمره يدور بين خيانة العزيز في امرأته وبين اتهام المرأة إياه عند العزيز بقصدها السوء فلم يمنعه عليه السلام _ ولا كان من الحري أن يمنعه_ شيء إلا العلم بمقام ربه.(١٠٥) ومما تقدم نفهم دور وأهمية ومكانة القيم الأخلاقية النابعة من أصل شجرة التوحيد في بناء الأمم والمجتمعات وحفظ القوانين والنظم وضمانها، وإن منهج الوسطية والاعتدال والذي هو المنهج والخط الأساسي الذي يسير بمقتضاه الدين الإسلامي، هو كما أوضحنا منهج الصراط المستقيم»، له أيضاً شرطان أساسيان هما:

أولاً: التوسط والاعتدال يكون بالتزام بالصراط المستقيم، فالدين الوسط هو الصراط المستقيم الذي لا يوجد أي شك والتباس وانحراف وتشويه فيه.

ثانياً: التوسط والاعتدال يكون بالاستقامة في طاعة الله تعالى والالتزام بأوامره في الظاهر والباطن على حد سواء، والنأي عن معاصيه ودون الميل إلى الإفراط والتفريط أو الغلوّ والتقصير.

مظاهر الوسطية والاعتدال

من أهم مظاهر الوسطية والاعتدال ما يلي:

- التيسير على الناس والرفق في التعامل معهم، حيث إن التيسير مقصد مهم من مقاصد الدين، وصفة للشريعة في عقائدها وأحكامها، ومعاملاتها وأخلاقها، وفروعها وأصولها، فالله سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه لم يكلف عبده إلا وسعه، ولم يرد به الحرج والعنت، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١٠٦) فإن الإسلام دين اليسر والسهولة لا حرج فيه ولا تكليف للناس فوق طاقاتهم.

- الموازنة بين متطلبات الجسد والروح، فلا يجوز لأحد أن يحرم نفسه مما أحله الله له، بل عليه أن يتقرب إلى الله بالفعل المأمور به والمباح.

- محبة الخير للناس كافة، حيث تعد هذه الصفة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وهي أصل كل الأحكام والتشريعات، ومن تمام الإيمان أن يحب المرء لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، وأن يحب الخير والمنفعة للناس كافة، ويأمر بالمعروف لهم وينهاهم عن فعل المنكر والكبائر.

- الوسطية والاعتدال في الاعتقاد بين متبعي الخرافات الذين يسرفون في الاعتقاد وتصديقه، من غير دليل ولا برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ولا يسمعون للعقل، فالإسلام يدعو إلى الإيمان والاعتقاد،

بشرط أن يكون هناك الدليل القطعي في كل شيء.

ولو تفحصنا ودققنا النظر بإمعان في واقع مجتمعاتنا الإسلامية وقمنا بمقارنة نسبية **(وليس على وجه الإطلاق)**، بينها وبين مظاهر الوسطية والاعتدال التي أوردناها آنفاً، فإننا وللأسف البالغ لا نجد ثمة تطابقاً، بل وحتى تجانساً بين الطرفين، ذلك أننا نصطدم بواقع غريب وطارئ عندما نجد أن هذه المظاهر التي كانت على الدوام حاضرة وماثلة للعيان في العصور الماضية وكان آباؤنا وأجدادنا يجسدونها على أفضل ما يكون، تبدو أقرب ما تكون إلى غريبة بل وحتى شاذة على واقعنا، لكنها والحمدلله لا زالت باقية وإن كان صوتها خفيضاً ودورها هامشياً وضئيلاً، إذ إن أفكار واتجاهات وسياقات فكرية أخرى قد صار لها قصب السبق «مؤقتاً»، في الميدان، أفكار واتجاهات تراهن وبمنتهى الصراحة عن قيم ومثل أقرب منها للتحزب للطائفة والقبيلة بل وحتى العرق. أما الإسلام الذي عرفه وألفه وعاش ومات وضحى من أجله آباؤنا وأجدادنا، فهو مغيّب وليس غائباً. فالإسلام الأصيل الحقيقي الواقعي موجود وسيبقى موجوداً على مر الزمان، لكن المشكلة الكبرى في التجاهل العمدي والمقصود لاعتبارات ومصالح ليس فقط لا تتفق مع الإسلام وإنما حتى تعاديه.

التطرف الديني والإرهاب بمختلف أنواعه عندما ضرب العالمين العربي والإسلامي قبل أن يضرب المناطق الأخرى في العالم، فإن ذلك لم يأتِ اعتباطاً على وجه الإطلاق، وإنما قد جاء تحصيلاً حاصلاً وكنتيجة فعلية لمجموعة تراكمات وعوامل وتداعيات تاريخية - فكرية - اجتماعية نجمت عنها الأفكار

والتصورات والرؤى المنحرفة والمشوهة التي انبثق عنها التطرف الديني ببعده الطائفي المقيت والإرهاب بمختلف أنواعه، أي بمعنى آخر، فإن الأرضية كانت مهيأة من مختلف النواحي لظهور وبروز التطرف الديني والإرهاب، ويمكن ذكر أهم الأسباب التي ساعدت على ذلك، وهي:

- الجهل العام نسبيّاً بالإسلام وتعاليمه ولا سيما قبل الحرب العالمية الأولى وخلال الحربين العالميتين، حيث كان الجهل والتخلف مهيمناً على عامة المسلمين، والأنكى من ذلك أن الأمور الخرافية وقضايا الشعوذة والسحر وما شابه قد وجدت سوقاً ومرتعاً خصباً لها خلال هذه الفترة.

- ندرة العلماء المسلمين الذين كانوا يدركون ويعون خطورة ما يواجه المسلمون من أخطار وتحديات من جراء تراجع الوعي الديني وعدم التصدي لذلك، وقطعاً لم يكن بإمكان ثلة من العلماء المسلمين الفضلاء يتقدمهم جمال الدين الأفغاني، من أن تعمل شيئاً حيال الأوضاع السلبية المتراكمة على بعضها والتي كانت تتطلب ليس تحركاً عادياً وإنما استثنائي بحيث يحدث انقلاباً جذرياً في الواقع.

- بروز رجال دين شرعوا بإسباغ حلة تميل إلى الطائفية على التعاليم والقيم الإسلامية، بل إنهم قاموا بإعطاء الأولوية لآراء وطروحات «شاذة»، وغير دقيقة لآراء ووجهات نظر ورؤى وأفكار غير معتدٍّ بها تطلق العنان للأفكار والرؤى الطائفية، والملفت للنظر أن هذا الأمر كان يجري باتجاهين وليس باتجاه واحد، وهو ما يبعث على الشك والتساؤل معاً.

- ظهور دول وممالك خلال الفترة التي ألمحنا إليها آنفاً، عملت «**عن قصد أو دون قصد**»، على تهيئة الأرضية والمناخ الملائم لتفاقم الاختلافات والانقسامات من جهة، وعلى بروز أفكار ورؤى متشددة خرجت عن السياق العام للإسلام والذي هو السياق الوسطي الاعتدالي.

- الدول التي حكمت العالمين العربي والإسلامي خلال تلك الفترة، لم تهتم لتوعية شعوبها وإعدادهم بصورة تؤهلهم كي يقفوا صخرة صلدة بوجه كل الأخطار والتهديدات التي ستحدق بهم لاحقاً أو مستقبلاً، كما أنهم لم يعملوا من أجل تطوير الأوضاع المعيشية والاقتصادية العامة والتعليمية، ولذلك فقد كانت شعوب العالمين العربي والإسلامي وللأسف البالغ عرضة للفقر والجهل والتخلف وهي الأرضية المناسبة والملائمة لظهور مختلف أنواع الأخطار والتهديدات المعادية للشعوب.

- انعزال وتقوقع العلماء المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية على أنفسهم وعدم استعدادهم للانفتاح على المذاهب الأخرى، وهو ما أدى إلى نوع من التشرذم والانقسام الذي منح الكثير من المبررات لأولئك الذين كانوا يسعون لحمل الإسلام وتوجيهه باتجاه متشدد وغلوّ لم يألفه هذا الدين طوال العصور المختلفة.

لكن السؤال الذي يبرز ويطرح نفسه هنا بقوة، هل إن التطرف الديني والإرهاب ظاهرة ارتبطت بالإسلام وحده دون غيره من الأديان، أي إن الإسلام هو أب للتطرف الديني والإرهاب؟ بطبيعة الحال، نحن ومن

خلال ما دأبنا على طرحه وما سنأتي لاحقاً أيضاً على طرحه من حيث دور وعلاقة هذه الظاهرة بالإسلام، لكن ذلك لا يعني إطلاقاً وبأيّ شكل من الأشكال جعل هذه الظاهرة تقتصر على الإسلام وحده، ذلك أن إلقاء نظرة على الأوضاع والظروف في العالم الغربي، ولا سيما أثناء وبعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، تثبت بكل وضوح وجود تيارات وجماعات وتنظيمات متطرفة وإرهابية تفضل اللجوء لاستخدام القوة والعنف والقسوة المفرطة من أجل تحقيق غاياتها، خصوصاً وأن العديد من هذه التيارات والجماعات كانت تتدثر بالأغطية الدينية، ومشكلة هذه التيارات أنها تيارات انفعالية مزاجية محدودة الأفق والتفكير وليس لديها القدرة على التوسع في الفهم والإدراك واستيعاب القدرة المتناهية للإسلام في التعامل مع الواقعين الذاتي والموضوعي، وطرح موقف ورأي الإسلام في أيّ مسألة أو موقف مستجد بطرق مختلفة، بمعنى، أن التصور بأن الإسلام فيما لو لم يستفد من القتال والجهاد فإنه لا يمتلك خيارات أو أساليب وطرقاً أخرى وحاشاه من ذلك.

برأينا وقناعتنا الشخصية، فإن أهم ثلاثة عوامل لبروز وتفاقم التطرف الديني والإرهاب، له علاقة جدلية بالعاملين الأمني والمعيشي، وإننا رأينا ونرى أن أفضل الأجواء والأوساط والدول التي تنشط فيها هذه الظاهرة بصورة ملفتة للنظر، هي البلدان التي تفتقد الأمن والاستقرار ويواجه شعبها مشاكل وأزمات معيشية حادة، بالإضافة إلى اختلافات وانقسامات مذهبية وفكرية، ونحن عندما نعود للذكر الحكيم ونقرأ: ﴿لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع

وآمنهم من خوف﴾(١٠٧)، ففي هذه السورة الكريمة، لفت الله عز وجل الأنظار إلى ثلاثة احتياجات أساسية للإنسان وهي:

- **الحب والتآلف والتعاضد الاجتماعي.**

- **الأمن المعيشي.**

- **الأمن والاستقرار.**

ليس هناك أية إمكانية لإيجاد وسط اجتماعي يمكن العيش والاستمرار من دون العوامل الثلاثة أعلاه، فمن دون الحب والتآلف الاجتماعي، ومن دون وجود ما يكفي الاحتياجات المعيشية اليومية، ومن دون وجود ما يبعث على الأمن والاستقرار والطمأنينة، فإنه من المستحيل أن يستمر أي مجتمع بالحياة والإنتاج. وعندما يدعو القرآن الكريم إلى توفر العوامل الثلاثة من أجل ضمان مجتمع آمن وسليم، فإن لكل عامل أهميته ودوره الخاص الذي لا يمكن تجاهله والتغاضي عنه بحال من الأحوال، فالحب والتآلف والتعاضد الاجتماعي، يوفر الأجواء بين أفراد المجتمع للتواصل وتبادل الأفكار والمنافع، وقطعاً إن التواصل والتآلف لا يمكن تقويته وتشجيعه ودوام استمراره إلا من خلال ضمان المعيشة وضمان الأمن والاستقرار، وإن إلقاء نظرة على التاريخ وفي مختلف مناطق العالم، نجد أن الإخلال بأحد هذه المقومات الثلاثة يعرض المجتمع لأخطار وتهديدات من الممكن في حال استمرار ذلك أن يتطور الأمر إلى الأسوأ وأن يهيئ الأجواء المناسبة للجريمة بمختلف أنواعها وللجنوح نحو الحالات السلبية التي تخل بالأمن الاجتماعي وتقوّضه.

الإسلام بما بشر به من تعاليم وأفكار مرنة تتسم بروح التسامح والانفتاح والاعتدال والوسطية، وضع كما مر بنا أيضاً القواعد والأسس الكفيلة بتطبيق وتفعيل وتجسيد تلك التعاليم والأفكار والسير بالمجتمع الإنساني نحو آفاق الخير والحق والسلام والعدل لكي تنعم جميع المجتمعات «إسلامية وغير إسلامية» جنباً إلى جنب بالحياة الحرة الكريمة وتتواصل مع بعضها البعض لما فيه خير وفائدة الجميع.

الإسلام الذي يدعو إلى الألفة والمحبة وضمان المعيشة وتوفير الأمن والاستقرار، لا يمكن أبداً أن يعود بنفسه لنقض ذلك والعبث به، ذلك أن التعاليم والأفكار الوسطية الاعتدالية قد وردت في العديد من الآيات القرآنية، والقرآن كما يصفه الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(١٠٨)، وهو أيضاً ورد في أحاديث الرسول الأكرم ﷺ، والذي أكد الله تعالى في القرآن الكريم كما مر بنا، على حتمية اتباع كل ما قد أمر به النبي الكريم ﷺ، والامتناع عن كل ما قد نهى عنه، ومن هنا، فإن الإسلام بريء من التطرف والإرهاب ورافض لهما لكونهما لا يتفقان ولا يتماشيان أبداً مع النهج والخط الوسطي الاعتدالي الخاص به.

وهناك ثمة ملاحظة مهمة يجب أن نضعها في الحسبان دائماً، وهي أن الإسلام قد جاء خاتماً للأديان، بمعنى أنه الدين الذي سيبقى مرافقاً للإنسان ومعاصراً لكل الفترات والمراحل التاريخية التي تمر به وتواجهه حتى يوم القيامة الذي لا يعلم موعده سوى الله تعالى، وإننا عندما نتحدث بإسهاب عن الوسطية والاعتدال في الإسلام كأصل وأساس ونركز على ذلك بقوة، فإن العلة

الأساسية في ذلك هو أن هكذا نهج وبحسب التاريخ الإنساني منذ بدء الخليقة، سيبقى هو الأفضل والأقرب والأكثر ملاءمة مع الإنسان.

الإسلام الذي يحمل على عاتقه مهمة معاصرة الفترات والمراحل والعصور القادمة، لا ريب أنه يمتلك الديناميكية والمرونة اللازمة للتأقلم والتجانس والتناغم مع الخط العام لذلك من خلال احتفاظه بقيم ومعايير وأسس الوسطية والاعتدال والتي هي روح المرونة وسلاسة الدين الإسلامي الحنيف، وبطبيعة الحال ليس أبداً من العقل والمنطق أن نسحب الأساليب والطرق والأنماط التي تم التعامل بها في بدايات الإسلام أو في العصور العباسية والعثمانية مثلاً ونسحبها بأسلوب خشبي جامد على العصور اللاحقة، ذلك أن الحياة في تطور مستمر، وتبعاً لذلك يتغير الكثير من الأمور ويطرأ عليها حالات تجعلها لا تتقبل الأساليب القديمة والأولية في التعامل، وإنما تحتاج إلى أساليب وأنماط جديدة تتفق مع روح المرحلة التاريخية الجديدة.

المتطرفون وكذلك الذين يميلون للإفراط في الغلوّ والتشدد ويصرون على مواجهة التقدم والتطور وتغير أشكال الحياة، وهم بذلك يريدون الإيحاء بتمسكهم بالإسلام، فإنما هم في ضلال وخطأ مبين، ذلك

أنه ليس بإمكانهم إطلاقاً إيقاف عجلة التطور والتقدم وعمليات التغيير المختلفة التي تطرأ على الحياة، كما أن الإسلام لايقبل إطلاقاً بهكذا عقلية متحجرة رافضة للتقدم والتطور، فلكل عصر سماته وخصوصياته التي لا يمكن لأحد إنكارها، وأن الإمام علي بن أبي طالب عندما يخاطب المسلمين

بالقول: «لاتقسروا أولادكم على أخلاقكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»، فإنه يقصد تحديداً التطورات والتغييرات والمستجدات التي تطرأ على مظاهر الحياة والتي لا نتمكن من إلغائها أو رفضها ومقاومتها، بل يجب أن نتكيف معها ونتجاوب مع أشكالها، وهنا، فإن عملية استنطاق القرآن الكريم والسُّنة النبوية من خلال عرض هذه الحالة الجديدة عليها والسعي للخروج بإجابات عن كيفية التعامل والتعاطي معها، ستكون مهمة بانتظارنا، وليس أن نفعل كما يفعل أولئك البعض من الذين يغلقون أبوابهم على أنفسهم ظنّاً منهم بأن الزمن سيتوقف وسيصبح كما يريدون ويشتهون، وهنا تحديداً تكمن مهمة الاعتدال والوسطية، فهو النهج الذي جاء ليتلاءم ويتناسب ويتفق مع كل عصر وزمان.

الفصل الرابع

الإرهاب والإسلام

الإرهاب عبر التاريخ

الإرهاب من المصطلحات المثيرة للجدل، ولا يزال هناك الكثير من اختلاف وتباين وجهات النظر بشأنه، خصوصاً وأنها تتأثر بالمصالح الوطنية والقومية أو الاعتبارات السياسية. وتعتبر كلمة الإرهاب من حيث علاقتها باللغة العربية، مشتقة من الفعل المزيد «أرهب»، حيث يقال: «أرهب فلاناً» أي خوّفه وفزّعه، وهو المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف «رهب»، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو «رهب يرهب رهبة ورهباً» فمعناه: خاف فيقال: «رهب الشيء رهباً ورهبة أي: خافه، والرهبة الخوف والفزع». لكن تعود لفظة إرهاب Terror في أصلها إلى اللغة اللاتينية، مثلما تشير إليه معاجم اللغة، وهي كلمة تمتد إلى لغات ولهجات المجموعات الرومانية، ثم انتقلت اللفظة فيما بعد إلى اللغات الأوروبية الأخرى.

والإرهاب في اللغة العربية يعني في أصله باللغة الفرنسية LeTerrorisme، وقد استحدثت هذه اللفظة أثناء الثورة الفرنسية، وهي تتشكل من الكلمة اللاتينية (Terror) مضافاً إليها المقطع (isme) وأصله اللاتيني المقطع (ismus) وهو من أصل يوناني قديم. وتعتبر كلمة إرهاب Terrorisme تجديداً للكلمة اللاتينية السابقة بدليل عدم وجودها قبل الثورة الفرنسية. وهي تعني بذلك نظاماً من الرعب (Système de terreur) وهكذا فإن

كلمة إرهاب Terrorisme ظهرت أثناء الثورة الفرنسية ففي الخامس من أيلول/ سبتمبر ١٧٩٣م عندما ضم دير الرهبان اليعاقبة ممثلي ٤٨ دائرة قرروا جميعاً بأنه قد حان الوقت لإرهاب كل المتآمرين، ومنذ هذه اللحظة أصبح الرعب نظاماً رسميّاً ومنهجاً خاصّاً للحكومة Un système de gouvernement ووصل إلى معناه إرهاب Terrorisme . هذا التحول من كلمة الرعب Terreur إلى كلمة إرهاب Terrorisme كأسلوب أو نظام للحكومة، كما ورد في قواميس اللغة نشأ من طبيعة الحوادث التاريخية التي ساهمت بطريقة مباشرة في خلق هذا النظام.

وقد صار الرعب أثناء الثورة الفرنسية وسيلة مشروعة استخدمتها الحكومة من أجل الدفاع عن النظام الاجتماعي وتأكد عن طريق الثورة أيضاً أن الإرهاب Terrorisme كنظام من الرعب تستخدمه الحكومة يعد مشروعاً، ولكن عندما استخدمه أعداء الثورة اعتبر عملاً إجراميّاً؟ واتخذ صفة المشروعية رغم عدم وجود فارق بين نظام الرعب والإرهاب(١٠٩). والحقيقة أنه وخلال الثورة الفرنسية وفي الفترة الممتدة بين الأعوام ١٧٨٩ إلى ١٧٩٩، والتي يصفها المؤرخون بـ «**فترة الرعب**»، أو «الإرهاب الممول من قبل الدولة»، فإن الخوف والهلع قد غطى كافة شرائح الشعب الفرنسي، بل وتعداه أيضاً إلى الطبقة الأرستقراطية الأوروبية. وهنا لا بد من التشديد على أنه لا يمكن مقارنة حالة الرعب الحالية التي تتداعى عن الإرهاب والنشاطات الإرهابية (**مع عدم الاستهانة بها**)، بتلك الحالة الاستثنائية في الفترة التي ألمحنا إليها آنفاً خلال الثورة الفرنسية. وفي كل الأحوال، فإن الإرهاب كما هو

معروف وشائع مقترن بإشاعة الخوف والرعب والذعر.

لكن الإرهاب حديثاً، قد لفت الأنظار في العقد السابع من الألفية الماضية على أثر تفشي مظاهر العنف المختلفة في المجتمعات الدولية، حيث بدأت وسائل الإعلام العالمية تتداول مفردات من قبيل الإرهاب وإرهابي والإرهاب المضاد، خصوصاً بعد أن لمع نجم العديد من التنظيمات اليسارية المتطرفة.

نظير «**الجيش الأحمر الياباني**»، ومنظمة «**بادر. مانهوف**» الألمانية، ومنظمة «**التوباماروس**» الأمريكية الجنوبية، إلى جانب منظمة «**أيلول الأسود**» الفلسطينية وغيرها، لكن ظهور تنظيمات متطرفة تتخذ من الإسلام غطاء لها، ولا سيما بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان وعقب تأثيرات ونتائج وتداعيات الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق، أعطى انطباعاً خاطئاً ومناقضاً للحقيقة والواقع لدى الكثيرين من أن الإسلام هو منبع الإرهاب ومرتعه الأساسي!

وقبل أن ندخل في موضوع علاقة الإرهاب بالإسلام والبحث فيه بإسهاب، لا بد لنا من أن نذكر خصائص الإرهاب وأسباب تفشيه وشيوعه، ولا سيما خلال هذه الفترة، وهناك ثلاث خصائص للإرهاب هي:

١. استخدام العنف والقسوة المفرطة أو التهديد باستخدامه.

٢. خلق حالة من الذعر واللاأمن في المجتمع.

٣. تحقيق أهداف وغايات سياسية أو اجتماعية أو فئوية وما إليها.

ولا يمكن اعتبار الإرهاب حالة طارئة ومستجدة وخاصة بأمة أو ملة أو فكر أو دين معين، وإنما وكما قيل مراراً، ليس للإرهاب أم أو أب، بل هو حالة مضادة للقيم والمبادئ الإنسانية والحضارية، وقبل ذلك المبادئ والقيم السماوية أيضاً، وإن البحث في الجوانب المتعلقة والمرتبطة به عبر التاريخ، تؤكد وتثبت ذلك، ذلك أن الخصائص أعلاه، قد تم الاستفادة منها عملياً عبر التاريخ من أطراف ودول لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين. كما أن طرح أسبابه أيضاً يوضح أن الإرهاب حالة غير صحية تتواجد في أيّ مكان تتوفر شروطه، والمهم وكما ذكرنا فإن الإرهاب حالة لا يمكن جعلها مختصة بدين أو عرق أو فكر أو طائفة أو اتجاهات سياسية معينة، وإنما هي حالة معادية للإنسان تنمو وتترعرع في أيّ مكان تتوفر فيه العوامل اللازمة لنشوئها. وبالنسبة لأسباب الإرهاب فإن هناك خمسة أسباب رئيسة هي:

أولاً: الأسباب التربوية والثقافية:

أهم أرضية ومناخ بنظرنا لنشوء الإرهاب وشيوعه، هو إخفاق المؤسسات التربوية والثقافية (**الحكومية وغير الحكومية**)، في نشر أسس ومرتكزات تربية وثقافة ذات بعد وعمق اعتدالي يهتم بالجانب الإنساني ويراعيه ويعمل كل ما بوسعه من أجل دفع حالة الانطواء والانعزال والتموضع الفكري والثقافي والديني بعيداً عن السيطرة على فهم وعقول الشباب، كما أن الفهم الخاطئ للدين وتعاليمه تكون مبرراً ومسوغاً للسير في طريق التطرف والإرهاب وبث سمومه من خلال الجهل المركب بأمور الدين.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية:

بقدر ما يكون المجتمع سليماً معافى من المشاكل والأزمات الاجتماعية ولا يعاني من التمزق الأسري وارتفاع نسبة الطلاق والفوارق الطبقية والعنف والجريمة وغيرها، فإنه يكون محصناً ضد انتشار الأفكار المتطرفة والتنظيمات الإجرامية، وإن المجتمعات التي تهتم بها الدول وتوفر لها كل أسباب العيش الكريم من خدمات عامة ووسائل ترفيه ومؤسسات فكرية وثقافية هادفة وتربية وتعليم سليم، هي مجتمعات لا يمكن اختراقها بسهولة من جانب المتطرفين والإرهابيين والتعشيش فيها.

ثالثاً: الأسباب الاقتصادية:

هناك علاقة قوية ما بين الحالة المعيشية للإنسان وبين استقراره الفكري والنفسي، حيث إن الإنسان كلما اشتدت به ضائقة المعيشة والعوز فإن توازنه سيختل، خصوصاً فيما لو كان هناك فوارق طبقية، ذلك أن الإنسان في هكذا حالة من الممكن أن ينقلب عدوّاً ضد مجتمعه.

رابعاً: الأسباب السياسية:

الخلل في المنظومة السياسية وعدم وضوح الرؤية فيها وخضوعها لأسس وضوابط محددة، بحيث تدفع الفرد والمجتمع للثقة والاعتداد بها، فلا مناص من انتظار آثار ونتائج سيئة من جراء ذلك بحيث تدفع بالمشككين والذين لا يجدون لأنفسهم دوراً معنوياً في هذا المنظومة للعمل خارجها، وهذا ما يوفر

ويهيئ الأرضية المناسبة لبروز اتجاهات متعارضة قد تكون التنظيمات المتطرفة والإرهابية ليس من ضمنها وإنما حتى في مقدمتها.

خامساً: الأسباب النفسية:

تتفاوت الغرائز الدافعة للسلوك البشري، فبعضها يدفع إلى الخير وأخرى تدفع إلى غير ذلك، ولهذا يوجد أشخاص لديهم ميول إجرامية تجعلهم يستحسنون ارتكاب الجرائم بصفة عامة، والجرائم الإرهابية بصفة خاصة، بل قد يتعطشون لذلك، وهؤلاء يميلون إلى العنف في مسلكهم مع الغير، بل مع أقرب الناس إليهم في محيط أسرهم، نتيجة لعوامل نفسية كامنة في داخلهم تدفعهم أحياناً إلى التجرد من الرحمة والشفقة، بل والإنسانية، وتخلق منهم أفراداً يتلذذون بارتكاب تلك الأعمال الإرهابية. وهذه الأسباب النفسية قد ترجع إلى عيوب أو صفات خَلقية أو خُلقية، أو خلل في تكوينهم النفسي أو العقلي أو الوجداني، مكتسب أو وراثي.

الحشاشون والإسلام

كما أن الحديث عن تاريخ الإرهاب يقود للحديث عن الفترة الممتدة بين الأعوام ١٧٨٩ إلى ١٧٩٩، والتي وصفها المؤرخون بفترة الرعب، فإن هكذا حديث سيقود ومن دون أدنى شك لتناول الدور الذي لعبته فرقة الحشاشين الإسماعيلية التي يعتبرها البعض جهلاً محسوبة على الإسلام، وهي أبعد ما تكون عنه، كما سيأتي في سياق البحث والحديث عنها، وهي فرقة لعبت دوراً غريباً من نوعه ما بين القرن الخامس والسابع الهجري الموافق للقرن ١١ و ١٣ الميلادي، وهي «تنتمي للطائفة الإسماعيلية النزارية التي انفصلت عن الفاطميين في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله ومن جاء من نسله، وكانت معاقلهم الأساسية في بلاد فارس وفي الشام بعد أن هاجر إليها بعضهم من إيران. أسس الطائفة الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة ألموت في فارس مركزاً لنشر دعوته، وترسيخ أركان دولته»(١١٠). ولئن كان هناك من يحاول الربط بين الإسلام والإرهاب من خلال الجرائم والممارسات الإرهابية الفظيعة التي ارتكبتها هذه الفرقة الضالة، لكن هذا الربط مفند من الأساس، ذلك أن ما قد ذكره العديد من المصادر التاريخية عنها، أكدت بأن المسلمين سُنة وشيعة كانوا يرفضون جرائم وممارسات هذه الفرقة الضالة ويستنكرونها، بل حتى إنهم قد بادروا إلى محاربتها والقضاء على فلولها على يد الظاهر بيبرس في عام ١٢٧٣م.

وبالنسبة للأصل الاشتقاقي لكلمة «**الحشاشون**» فإن هناك آراء من ضمنها:

- **أساسان(Assasins)**: أي القتلة أو الاغتياليون. وهذه لفظة كان يطلقها الفرنسيون الصليبيون على الفدائية الإسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم؛ فخافوهم ولقبوهم «**الأساسان**».

- **حساسان**: نسبة إلى شيخ الجبل «**الحسن بن الصباح**» الذي أوجد منظمات الفدائية.

- **عساسون**: مشتقة من «**العسس**» الذين يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم لحراستها والدفاع عنها.

- **أساسين**: مأخوذة من الكلمة الأصلية (**المؤسسين**) حيث إنهم أسسوا قوتهم في قلعة ألموت.

ومع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر بدأت التحويرات العربية لمصطلح الحشاشين تلتقط محليّاً في سورية وتصل إلى مسامع الصليبيين لتكون عدداً من المصطلحات «Assassin، Assissini، Heyssessini» والتي صار ينعت بها الإسماعيليون النزاريون في سورية، الأمر الذي أدى لظهور اسم جديد دخل إلى اللغات الغربية وهو «Assassin» وأصبح يعني «القاتل»، وقد كانت المخيلة الأوروبية خصبة في وصف هؤلاء الحشاشين، وزخرت كتبهم بالكثير من الأساطير حولهم فنجد قصة الرحالة الإيطالي

ماركو بولو التي باتت تعرف بـ «**أسطورة الفردوس**» والذي نقرأ في كتابه في وصف قلعة ألموت ما يلي:

(بأنه كانت فيها حديقة كبيرة ملأى بأشجار الفاكهة، وفيها قصور وجداول تفيض بالخمر واللبن والعسل والماء، وبنات جميلات يغنين ويرقصن ويعزفن الموسيقى، حتى يوهم شيخ الجبل أتباعه أن تلك الحديقة هي الجنة، وقد كان ممنوعاً على أيّ فرد أن يدخلها، وكان دخولها مقصوراً فقط على من تقرر أنهم سينضمون لجماعة الحشاشين. كان شيخ الجبل يدخلهم القلعة في مجموعات، ثم يشربهم مخدر الحشيش، ثم يتركهم نياماً، ثم بعد ذلك كان يأمر بأن يحملوا ويوضعوا في الحديقة، وعندما يستيقظون فإنهم سوف يعتقدون بأنهم قد ذهبوا إلى الجنة، وبعدما يشبعون شهواتهم من المباهج كان يتم تخديرهم مرة أخرى، ثم يخرجون من الحدائق ويتم إرسالهم عند شيخ الجبل، فيركعون أمامه، ثم يسألهم من أين أتوا؟، فيردون: «من الجنة»، بعدها يرسلهم الشيخ ليغتالوا الأشخاص المطلوبين؛ ويعدهم أنهم إذا نجحوا في مهماتهم فإنه سوف يعيدهم إلى الجنة مرة أخرى، وإذا قتلوا أثناء تأدية مهماتهم فسوف تأتي إليهم ملائكة تأخذهم إلى الجنة!)(١١١).

أهم ما يجب الاطلاع عليه بشأن هذه الفرقة الإرهابية، هو ما قد جاء في كتاب «الحشاشون» لبرنارد لويس، حيث نجد وصفاً مبكراً لهذه الجماعة في تقرير كتبه مبعوث أرسله الإمبراطور فريدريك بربروس إلى مصر وسوريا عام ١١٧٥م فقد كتب يقول: «**لاحظ أنه يوجد عند تخوم دمشق وأنطاكية**

وحلب جنس معين من العرب يعيشون في الجبال يسمون أنفسهم بالحشاشين ويعرفون في الرومانية بسادة الجبل، هذه السلالة من الرجال يعيش أفرادها بلا قانون وهم يأكلون لحم الخنزير الذي تحرمه شريعة العرب، ويأتون المحارم من أمهاتهم وأخواتهم، ويعيشون في الجبال في شبه منعة كاملة وراء أسوار قلاعهم الحصينة، ولما كانت بلادهم خصبة بما فيه الكفاية لذلك فإنهم يعتمدون على ماشيتهم. ولهم سيد يلقي أشد الرعب في قلوب كل الأمراء العرب القريبين والبعيدين على السواء، وكذلك يخشاه الحكام المسيحيون المجاورون لهم، لأن من عادته أن يقتلهم بطريقة تدعو للدهشة، وهذه الطريقة كالتالي: هذا الأمير يملك في الجبال عديداً من القصور البالغة الجمال تحيطها أسوار عالية جداً بحيث لا يستطيع أحد الدخول إلا عبر باب صغير عليه حراسة مشددة، وفي هذه القصور يربي عدداً من أبناء الفلاحين الذين يأخذهم منذ طفولتهم المبكرة، وهناك يجري تعليمهم لغات مختلفة كاللاتينية والإغريقية والرومية والعربية وغيرها، وهؤلاء الشبان الصغار يلقنهم معلموهم. أن عليهم أن يطيعوا سيد القلعة في كل ما يقوله أو يأمر به، وأنهم إذا فعلوا ذلك فإنه. وهو المسيطر على جميع الآلهة. سوف يهبهم مسرات الفردوس، وهم يلقنون كذلك أن لا أمل لهم في النجاة إذا قاوموا إرادته في أيّ شيء، ولاحظ أنهم ومنذ الإتيان بهم أطفالاً لا يرون أحداً سوى معلميهم وأسيادهم ولا يحصلون على أيّ تعليم آخر، وفي الوقت المناسب يجري استدعاؤهم إلى حضرة الأمير، وعندما يكونون في حضرته يسألهم عما إذا كانوا راغبين في إطاعة أوامره من أجل أن يمنحهم نعمة الفردوس، وعندئذ ينفذون ما

تلقنوه دون اعتراض أو ريبة فيرمون أنفسهم تحت قدميه ويجيبون بحماسة أنهم سوف يطيعونه في كل ما يأمر به، وحينئذ يقوم الأمير بإعطاء كل منهم خنجراً ذهبياً ويرسلهم لقتل من يشاء من الأمراء»(١١٢).

وفي السياق نفسه، يذكر برنارد لويس في كتابه هذا أيضاً: «**أصبحت كلمة حشاش Assassin اسماً شائعاً في معظم اللغات الأوروبية، وتعني القاتل، أو بالتحديد الذي يقتل خلسة أو غدراً، وغالباً ما تكون ضحيته شخصية عامة وهدفه التعصب أو الجشع، ولكن الأمر لم يكن دائماً كذلك، فالكلمة - كما ظهرت في سجلات الصليبيين - كانت تعني فرقة إسلامية غريبة في الشرق تتزعمها شخصية غامضة تعرف بشيخ الجبل، وهذه الفرقة مكروهة بسبب عقائدها وأفعالها من جانب المسيحيين والمسلمين على حد سواء»(١١٣).**

ولأن برنارد لويس مستشرق فرنسي معروف بحصافته العلمية وحياديته، فإن آراءه يعتدّ بها ولها وزنها وثقلها ومكانتها في مختلف المحافل الفكرية والبحثية، فإنه عندما يذكر بأن هذه الفرقة كان أعضاؤها يأكلون لحم الخنزير المحرم شرعاً لدى المسلمين، وكذلك بأنهم مكروهون بسبب من أعمالهم وعقائدهم لدى المسيحيين والمسلمين على حد سواء، فإن هذا أكبر دليل على براءة الإسلام والمسلمين من كل أفعالهم وتصرفاتهم.

النصوص الشرعية الإسلامية والإرهاب وملاحظات مؤلمة:

عندما تصدينا للوسطية والاعتدال في الفصل الثالث من هذا الكتاب، واعتبرناه الأساس والأصل في الإسلام، فإننا رغبنا من خلال ذلك التصدي لموضوع آخر بالغ الأهمية، ويعتبر الشغل الشاغل للعالم منذ نهايات القرن الماضي وإلى يومنا هذا، وهو موضوع الإرهاب، ومع أن الإقرار بوسطية واعتدال الإسلام والتوصل إلى حقيقة كونه الأصل في الإسلام يكفي لرد كل التهم التي تتهم الإسلام ظلماً بالتشدد والإرهاب، لكننا مع ذلك وجدنا من المناسب جداً ذكر نصوص شرعية ترفض الإرهاب بكل وضوح من دون لف أو دوران.

الإسلام عندما جاء بفكره التوحيدي، فإنه سعى منذ البداية إلى التهدئة من روع الإنسان ومنح نفسه وروحه كل عوامل وأسباب الطمأنينة والسلام والاستقرار، وهناك العديد من الآيات التي تؤكد ذلك نظير:

- ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾(١١٤).

- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(١١٥).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(١١٦).

- ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١١٧).

- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾(١١٨).

والإسلام بعد أن هيأ أرضية الاعتدال والوسطية ومنح النفس والروح الأمن والطمأنينة والاستقرار، فإنه رفض رفضاً قاطعاً أن يتصرف الإنسان بأسلوب وسياق يتعارض مع تلك الأرضية المعطاء، وإن الله سبحانه وتعالى عندما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(١١٩)، وهذه الآية الكريمة في حد ذاتها نص صريح يتعارض تماماً مع أولئك الذين يقومون بتفجير أنفسهم في عمليات إرهابية تزرع الرعب والفوضى والدمار، وهم يعتدون وفي لحظة ضلال مبين، بأنهم يدعون للحق ويجاهدون في سبيل الله تعالى. كما أن الآية الكريمة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(١٢٠). وكذلك الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(١٢١)، وفي هذين النصين القرآنيين، نجد رفضاً قاطعاً لاستخدام الطرق الملتوية الفاسدة من أجل خداع الناس وترويعهم وإرعابهم في سبيل تحقيق أهداف وغايات ليس للإسلام والمسلمين أية مصلحة فيها. وكذلك إذا ما دققنا النظر في الآيتين الكريمتين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾(١٢٢)، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١٢٣)، فالعدل واجب مع المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، خصوصاً إذا لم يكونوا في حالة قتال وعداء معهم، فالقتل والتعدي حرام على الغير بأيّ شكل من الأشكال ولا يمكن

أبداً ربط هذه الجرائم بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد.

أما ما جاء في أحاديث الرسول الأكرم ﷺ بشأن رفض الإرهاب والقتل والاعتداء والترويع، فإنها متعددة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

عن عامر بن ربيعة عنه أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيبها - أي أخفاها - وهو يمزح، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **(لا تروّعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم)**(١٢٤).

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: **(لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً)**(١٢٥).

وفي حديث ثالث قال رسول الله ﷺ: **(من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة)**(١٢٦).

وفي حديث رابع قال رسول الله ﷺ: **(من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)**(١٢٧).

وفي حديث خامس قال رسول الله ﷺ: **(لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار)**(١٢٨). هذا إلى جانب عدد آخر من الأحاديث الشريفة الأخرى بالسياق نفسه، والذي يتضح لنا بكل جلاء، هو أن هذه الأحاديث ترفض الإرهاب وتعتبره خارج أطر وموازين وحسابات الإسلام، فالترويع والإخافة والتي هي من ضمن الأهداف المهمة التي يسعى لها الإرهابيون، غير جائزة شرعاً كما تؤكد الآيات

الكريمة والأحاديث الشريفة السالفة الذكر. لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، ذلك أن الزعم بوجود علاقة وربط ما بين الإسلام والإرهاب، لاينطلق من طرف محدد، وإنما من أكثر من طرف، ولكل طرف رأيه وموقفه الخاص بهذا الصدد، وهذه الأطراف يمكن إجمالها فيما يلي:

١- البعض ممن يتمسكون برؤى وتفاسير محددة لبعض الآيات والأحاديث الشريفة التي تدعو للقتال والجهاد، من دون أن يقصدوا أو يعنوا التطرف والإرهاب بعينه، وهذا البعض يتواجد في مفاصل مختلفة من المجتمعات العربية والإسلامية، وهم ينشرون أفكارهم وآراءهم على الملأ في العديد من الأوساط الدينية والإعلامية والثقافية والاجتماعية.

٢- البعض الآخر ممن يتمسكون بتلك الرؤى والتفاسير الآنفة الذكر نفسها، ويسبغون عليها المزيد من الغلوّ التشدد والتعنت من أجل توظيفها في سياق يخدم التطرف والإرهاب، وهؤلاء فئات لم يعد بإمكانها البقاء بين الأوساط الاجتماعية الاعتيادية التي ألفت الإسلام الوسطي الاعتدالي (**نهج آبائنا وأجدادنا**)، ولذلك فهم ينطوون على أنفسهم وينعزلون في أماكن محددة بهم أو يبادرون إلى تشكيل تنظيمات متطرفة وإرهابية أو ينضمون إليها.

٣- قطاع عريض لا يمكن الاستهانة به من الشارعين العربي والإسلامي، ممن لا يملكون خلفية ثقافية. فكرية يعتد بها كي يكون لهم موقف واضح من الآراء والأفكار التي يروّج لها الطرفان أعلاه، والتي تعمل على تضليل وتعكير الرؤية لدى الشباب الذين هم في مقتبل العمر، حيث يتم التغرير بهم

ويصبحون بين عشية وضحاها حطباً ووقوداً للجماعات والتنظيمات المتطرفة والإرهابية.

٤- غير المسلمين، من مختلف الدول والأمم، ممن يحملون انطباعات ورؤى مشوشة وغير دقيقة عن الجماعات المتطرفة والإرهابية التي تعمل بهدي أفكار ورؤى غير صحيحة أو خاطئة وغير دقيقة، فهم يعتبرون أيّ تنظيم إرهابي محسوب على المسلمين من دون أن يلتفتوا إلى حقيقة أن المسلمين ليس فقط أنهم يرفضون هذه التنظيمات ولا يؤمنون بها وبما تدعو إليه فحسب، وإنما يعانون الكثير من جراء جرائمها ومجازرها وأعمالها الإرهابية التي تطالهم، وإن ما جرى ويجري في العديد من البلدان الإسلامية منذ أواخر الألفية الماضية ولحد يومنا هذا، أصدق دليل على ذلك.

وهنا لا بد من الانتباه جيداً، ذلك أننا أمام أربع حالات وأوضاع متباينة عن بعضها البعض، ولا بد من التصرف مع كل واحدة منها بطريقة وأسلوب يختلف عن الآخر، ولذلك فإن هناك الكثير من العمل والجهد الذي لا بد من بذله بهذا الخصوص، حيث إن المطلوب وكحالة ملحّة ما يلي:

بالنسبة للمجموعة الأولى:

لا بد من مواجهتهم فكريّاً وثقافيّاً وعلى أوسع نطاق ممكن من أجل دحض أفكارهم وآرائهم وتفنيدها وإثبات أن ما يدعون إليه ليس من الإسلام الوسطي والاعتدالي في شيء، وذلك من أجل إعادتهم إلى الطريق القويم والصحيح للإسلام وإنقاذهم مما هم فيه من حالة غير صحية.

بالنسبة للمجموعة الثانية:

بالإضافة لضرورة وحتمية مواجهتها عسكريّاً وأمنيّاً لردعهم والقضاء عليهم وضمان أمن وسلامة وحياة ومال الأمتين العربية والإسلامية والعالم من شرّها، فإن الضرورة تكون ملحّة أكثر من أجل العمل على تجفيف ليس منابعهم المالية والإنسانية فقط، وإنما حتى العقائدية والفكرية، وهو ما يستوجب موقفاً حازماً وصريحاً وشجاعاً بمستوى الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية والإسلام نفسه أولاً ومن ثم العالم ثانياً، وهذا ما سنأتي على توضيحه لاحقاً لأهميته القصوى.

بالنسبة للمجموعة الثالثة:

وبسياق يجمع بين أسلوب التصدي الفكري للمجموعة الأولى والثانية، فإنه يجب العمل وفق نهج فكري . تعبوي شامل يبدأ من المراحل الدراسية الأولى ويشمل كذلك أوساطاً وشرائح وأعماراً أخرى مع التأكيد على دور العلماء ورجال الدين في السعي للعب دور يتمكنون من خلاله وفق المنهج المتفق عليه من جعل هذه المجموعة التي تشكل -كما ألمحنا- قطاعاً عريضاً على بينة من الإسلام الوسطي والاعتدالي الذي آمن به آباؤنا وأجدادنا على مرّ العصور.

بالنسبة للمجموعة الرابعة:

أي العالم غير الإسلامي، فإن هناك مهمة وواجباً ملحّاً ينتظرنا كي نبادر

إلى عمل وإجراء يكون بمستوى المهمة الخطيرة والحساسة، خصوصاً وأن الأوساط السياسية والثقافية والفكرية في العالم، باتت تنتظر إجراءات عملية من جانب العالم الإسلامي من أجل ردع التنظيمات والجماعات المتطرفة والإرهابية التي تتدثر بدثار الإسلام وتزعم أنها تحمل أفكاره الحقيقية، وهذا أيضاً ما سنأتي عليه لاحقاً لأهميته.

حال وموقف العلماء المسلمين في سائر أرجاء العالم الإسلامي، هو مجرد المراقبة والمتابعة وانتظار الأحداث والتطورات لعلّها تنتهي على خير وتسدل ستاراً على هذا الفاصل المأساوي الدموي من التاريخ المعاصر للمنطقة، حيث لا نجد هناك موقفاً يتصدى لهذه المشكلة العويصة من أساسها وجذورها، ويكتفي فقط بتكرار التأكيد على أن الإسلام يرفض التطرف والغلوّ والإرهاب وهو دين الخير والوسطية والسلام، ومع أهمية وضرورة طرح هذا الكلام، لكن، وكما نعرف ونعلم جميعاً فإن حجم المأساة والمصائب الكبيرة التي تواجه العالمين العربي والإسلامي بشكل خاص والعالم بشكل عام، هو أكبر بكثير من أن يتم التصدي له ومعالجته بتكرار هذا الكلام الذي نردده منذ ظهور وبروز التنظيمات المتطرفة والإرهابية التي توظف نصوصاً شرعية لتبرير تطرفها الدموي واللاإنساني.

إننا اليوم نعيش في عصر يتجاذبه العديد من الأمور والمتغيرات غير المسبوقة، ونواجه مرحلة استثنائية بالمعنى الحرفي للكلمة من تاريخنا المعاصر والذي يشهد حالة غريبة جداً، حيث يقوم خلالها المتطرفون والطارئون على الإسلام بأخذ زمام المبادرة ويقومون بفرض إملاءاتهم ليس على الأمة الإسلامية فقط بل

وحتى على العلماء المسلمين الأجلاء، عندما نجدهم في موقف ووضع الانتظار والترقب، وهذا ما يفرض وضعاً شاذاً لم يواجهه العلماء المسلمون حتى في أكثر العصور انحطاطاً، بل وحتى في الفترة المظلمة نفسها التي أعقبت سقوط الدولة العباسية، ذلك أنه كان هناك دائماً مواقف نوعية متميزة للعلماء المسلمين بحيث يثبتون فيها قوة دور الإسلام وحضوره المستمر في الساحة وتصديه لمختلف المواضيع والأمور الطارئة والمستجدة، لكننا اليوم نجد الصورة مختلفة تماماً، حيث نشهد وضعاً غير مسبوق يتم فيه تهميش دور العلماء ومنح الأولوية للطارئين، بل وحتى الدخلاء على الإسلام، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أكد في كتابه الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، النحل: ٤٣، لكننا اليوم نجد وبسبب إشكالية الأوضاع غير الطبيعية والشاذة التي نعيشها، وبسبب أن الإجابة الشافية والوافية التي تروي وتشفي غليل السائلين غير موجودة لدى العلماء الأجلاء، فإن السائلين الحائرين والمترددين، يتوجهون بالسؤال للذين يفتقدون الأعلمية ولا يعرفون من الدين إلا ظاهره، وهو ما يفسر استمرار انخراط شباب في مقتبل عمرهم في وحل التطرف والإرهاب ويلقون بأنفسهم في تهلكة من دون أن يعلموا إلى أية درجة وحدّ هم مخطئين.

كما في حياة كل إنسان فترات ومراحل مختلفة يتعرض خلالها لمشاكل وأزمات متباينة يتطلب البعض منها أسلوباً ونمطاً استثنائياً خارجاً عن المألوف في التصدي لها، حيث ليس بالضرورة أبداً أن يكون ذلك الأسلوب والنمط محبباً ومرغوباً به ولكنه يجد في الوقت نفسه لا مناص منه، تماماً كالذي يجد أن ساقه أو ذراعه قد تعرضت للغنغرينا ولا مناص من بتره، فإن الأمتين

العربية والإسلامية على حد سواء أمام موقف ووضع استثنائي غير مسبوق يتطلب تصدياً ومعالجة استثنائية وغير عادية تماماً، وبرأينا المتواضع فإن الكرة في ملعب العلماء المسلمين الأجلاء والذين عليهم أن يتحركوا ويبادروا إلى اتخاذ الموقف المناسب الذي يضع النقاط على الحروف ويعالج هذه المشكلة من جذورها.

مصارحة ومكاشفة لا بد منها

الإسلام هو خاتم الأديان ويحمل بين ثناياه روح الأصالة والمعاصرة، ولا يمكن إطلاقاً الفصل بينهما، أي بين الأصالة والمعاصرة، فالأصالة هي الجذور الأساسية التي يقوم الإسلام عليها، أما المعاصرة فهي الامتداد والاستمرارية والتواصل والتناغم لهذا الدين الحنيف مع العالم كله، أو بكلمة أدق وأوضح تعبيراً مع غير المسلمين.

الإسلام طوال المراحل التاريخية المتباينة التي طواها من عمره المديد وذلك الكم الهائل من الأخطار والتحديات الاستثنائية التي واجهها، بقي صامداً كالطود الشامخ متناغماً متآلفاً متكيفاً مع مختلف الأوضاع والظروف الطارئة والمستجدة التي واجهها، وتعايش وتجانس معها بما يحفظ فيه أصالته ويثبت في الوقت نفسه قوة إمكانية معاصرته لكل العصور بمختلف ظروفها وأوضاعها ومستجداتها.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، الحشر: ٧، هذه الآية التي يخاطب الله تعالى الأمة الإسلامية ويدعوها للتمسك بكل ما قد أتى به الرسول الأكرم ﷺ من أقوال وأفعال وممارسات وتجارب مختلفة ومتنوعة لنستفاد منها ونجعلها شرعة منهاجاً في حياتنا، هي آية بالغة الأهمية والحساسية والخطورة، خصوصاً وأنه عز وجل قد وصف رسوله الكريم في كتابه المبين: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(١٢٩)، فإننا يجب أن ننتبه

جيداً إلى أننا عندما نواجه حديثاً شريفاً صحيحاً متفقاً عليه للنبي ﷺ، فنعتبره شرعة ومنهاجاً، فكيف إذا ما وجدنا أنفسنا أمام تجارب عملية له ﷺ أثناء حياته الكريمة؟ خصوصاً فيما لو علمنا بأن هذه التجارب موثقة ومتفق عليها تاريخياً بين مختلف طوائف ومذاهب الأمة الإسلامية. وإن صلح الحديبية الذي عقده الرسول الأكرم ﷺ مع قريش، هو أفضل درس ومنهاج عملي لنا لكي نستقي ونستشف منه الدروس العبر.

النقطة الهامة والحساسة التي نرغب في لفت الأنظار إليها هي أنه وبعد أن اتفق النبي ﷺ مع قريش على الصلح، دعا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: **(اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)**، فقال سهيل بن عمرو من قريش: **أما الرحمن، فما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم**، فقال: **(اكتب: باسمك اللهم)**، ثم قال: **(اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)**، فقال سهيل: **والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب محمد بن عبد الله**. فقال: **(إني رسول الله، وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله)**. (١٣٠) هنا، نودّ أن نسترعي الانتباه إلى أن الرسول الأكرم ﷺ قد قام شخصياً بالامتثال لما طلبته منه قريش بأن يكتب في وثيقة الصلح «**باسمك اللهم**»، عوضاً عن «**بسم الله الرحمن الرحيم**» «**محمد بن عبد الله**»، وليس رسول الله، فإننا يجب أن نتعامل مع هذا الأمر بروح المعاصرة التي عرفناها وفهمناها واستوعبناها من نبينا ﷺ، عندما نجد أنفسنا أمام حالات مستعصية استثنائية، ذلك أن ما قد

قام به النبي ﷺ هنا، يجسد بنظرنا أروع معاني الوسطية والاعتدال والحكمة، فهو لم يتشبث بكتابة «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، و«**محمد رسول الله**»، وإنما حقناً للدماء وإثباتاً لحقانية الإسلام وماهيته الإنسانية المعاصرة، قبل برأي قريش، وهو قبول يؤكد الحكمة والحصافة في التصرف والمبادرة قبل أيّ شيء آخر.

وهناك أيضاً تطور آخر خلال العهد العباسي، له أيضاً دوره وأهميته وتداعياته على العصور اللاحقة، وهو ما يتعلق بالوثيقة القادرية أو الاعتقاد القادري: هي وثيقة أصدرها الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠٨هـ، حددت المعتقدات التي يجب على المسلمين اعتقادها، وتمنع معتقدات أخرى تحت طائلة العقوبة والنكال، وقد منعت هذه الوثيقة الاجتهاد، حيث إن الخليفة العباسي القادر بالله، وعلى أثر حدوث فوضى ولغط وفتنة في الأمور والقضايا المتعلقة بالاجتهاد، ونظراً لكونه خليفة المسلمين، فقد أمر بسد باب الاجتهاد. ولئن كان هنالك الكثير من النقد وعدم القبول لهذه الوثيقة ولها آثارها وجوانبها السلبية من حيث تحديد حرية التفكير وكل ما يتعلق بالعقل والمنطق، غير أنه ليس بالإمكان في الوقت نفسه التقليل من أهمية الدور الإيجابي الذي لعبته في حينها عندما ساهمت بإغلاق الأبواب على المبتدعين الذين يسعون للتصيد في المياه العكرة وتوظيف الدين لأهداف وغايات لا علاقة لها بالدين، كما يحدث في عصرنا مع البعض ممن يسعون بالاتجاه نفسه.

هذان الأمران، أي صلح الحديبية والوثيقة القادرية، وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بينهما من مختلف النواحي، لكنهما يؤكدان حقيقة مدى

تمتع الإسلام بالحيوية والمرونة عند مواجهته لأوضاع وظروف غير عادية، خصوصاً عندما يصل الأمر إلى الحد الذي يجعل الإسلام في دائرة المساءلة والشك ويجعله عرضة للخطر، وإن الموقف الذي بادر إليه الرسول الأكرم ﷺ في صلح الحديبية وكذلك الموقف الذي اتخذه من أهل مكة بعد دخوله فاتحاً، كان في حقيقته إثباتاً وتأكيداً للماهية الوسطية والاعتدالية الأساسية للإسلام، خصوصاً وأن النبي ﷺ وفي الحالة الثانية كان بإمكانه أن يتخذ موقفاً متشدداً ضد أهل مكة، لأنهم حاربوه وآذوه وأخرجوه عنوة من دياره، لكنه ومثلما أثبت وسطية واعتدال الإسلام في صلح الحديبية عندما كان الكفار في عز قوتهم، فإنه عاد ليؤكد على الموقف نفسه بعد فتح مكة حيث القوة والسلطة كلها لصالحه، وكأنه يريد أن يقول للأمة الإسلامية برمتها، إن العبرة ليست في تحقيق الأهداف والغايات بالقوة، وإنما بإقناع الطرف الآخر بالسبل والطرق الفكرية والأخلاقية، إذ إن الإسلام مدرسة فكرية - إصلاحية قبل أيّ شيء آخر.

اليوم، حيث العالم كله وليس العالمين العربي الإسلامي، يواجه خطر التطرف الديني والإرهاب، عندما نرى البعض يلجؤون إلى حمل النصوص الدينية على تفسيرات غريبة وشاذة، فيبيحون بذلك سفك الدماء وإشاعة الفساد والدمار ويجعلون من أنفسهم أصحاب الأمر في تحديد من يدخل الجنة ومن يدخل النار، خصوصاً عندما نرى شباناً يافعين في مقتبل أعمارهم وهم يتحدثون بشغف قبل قيامهم بتنفيذ عمليات إرهابية، عن الحور العين اللائي في انتظارهم، تماماً كما كان الأمر مع «سيد القلعة»، لفرقة الحشاشين أو

للخوارج، ذلك أن التطرف والإرهاب وخطه ونهجه واحد، ويوجد تواصل وترابط وطيد ما بين اتجاهاته وفرقه وجماعاته على الرغم من الفرق الزمني الكبير، وبطبيعة الحال فإننا ومهما قلنا وأكدنا وأعدنا على أن ما يقومون به ليس جائزاً، وإنما يتناقض ويتعارض مع الديانة الإسلامية ذاتها، فإنه وللأسف لن يكون لصوتنا أيّ صدى أو وقع في تلك الآذان التي حشيت بوقر التطرف والغلوّ والإرهاب، ذلك أن من نصّب نفسه عنوة في غفلة وستر من المسلمين، مفتياً في الإسلام وأموره، قد أقنع هؤلاء الفتية المغرر بهم بأن الحق كله معه وأنه يمثل ويجسد الطريق والسبيل الأصح في الإسلام، والحقيقة أننا لو دققنا النظر في كل ما تقوله الفرق والجماعات الإسلامية المختلفة، لوجدنا أن أغلبها يدعي بأن الحق معه وأنه يسلك السبيل الصحيح في الإسلام، ومع الأخذ بنظر الاعتبار كل المحاولات والمساعي المختلفة التي بذلت **(عربياً وإسلامياً ودولياً)**، من أجل ردع أو إقناع هؤلاء الشباب بالعودة إلى رشدهم وترك هذا الطريق المنحرف والشاذ والمعادي للإسلام الذي سلكوه، لكننا نجد أن هذه المساعي لا زالت محدودة الدور والتأثير، ولا زالت دون المستوى الذي يقود إلى حسم الموضوع وإنهائه.

وجه الخطورة والحساسية البالغة في هذه القضية، أنها تتعلق بأوجه فهم وتفسير الآيات القرآنية وتجييرها لخدمة أهداف ومرام متطرفة وإرهابية، كما أنها تستند أيضاً إلى تلقي بعض الحالات غير الطبيعية الطارئة التي تميل إلى الندرة التي حدثت خلال العصور الأولى للإسلام، واعتبار ذلك كل الحقيقة والواقع وما خلاه باطلاً، والذي يمنح أو يوفر أرضية مناسبة لترسيخ مثل

هذا الفهم المنحرف والشاذ، هو الحالات السلبية في الواقع من حيث الأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والنفسية، ذلك أن كل هذه الأمور أشبه ما تكون بحلقات مترابطة ببعضها البعض، وأمام هذا الوضع الخطير، وخصوصاً وأن العالم كله بات يرفع صوته متحدثاً بصورة أو بأخرى عمّا يسميه «**تطرفاً إسلامياً**» و«**إرهاباً إسلامياً**»، والأهم من ذلك أن المفكرين والساسة والمشرعين في دول العالم، يرفعون هم أيضاً أصواتهم يطالبون العالمين العربي والإسلامي بالعمل من أجل وضع حل ومعالجة حاسمة لهذا التهديد الخطير الذي يحدق بالسلام والأمن والاستقرار في العالم كله.

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المختلفة بشأن الاعتدال والوسطية، ومع أهميتها كونها تمثل أساس ومحور إثبات الوسطية والاعتدال في الإسلام، لكن وحتى لو أننا لبثنا أعواماً ونحن نطرح ونؤكد على ذلك للعالم كله ونشدد على أن الإسلام بريء مما يفعله هؤلاء المتطرفون الإرهابيون، فإن ذلك لن يساهم بأيّ حل ومعالجة مفيدة ومؤثرة لقضية التطرف الديني والإرهاب، ذلك أننا نعيش عصراً يتحدث بلغة الأرقام، وليس بالكلام الذي ليس له أيّ دور وانعكاس وتجسيد على أرض الواقع، وإننا نعتقد بأنه قد حان الوقت المناسب من أجل التصدي لهذه القضية بأسلوب وطريقة حدّية وحاسمة في مستوى ما تشكله من تهديد وخطر يمس الإسلام والمسلمين. وهذا الأمر يتطلب حكمة قبل الشجاعة وفهماً شاملاً قبل الإحساس بالمسؤولية، حيث إن الجماعات والتنظيمات المتطرفة والإرهابية، تعتمد على تفاسير وآراء ورؤى محددة ذات طابع متشدد لآيات قرآنية بخصوص الجهاد والقتال، فجاء قادة

ومنظرو هذه الجماعات والتنظيمات ليضيفوا لها المزيد من التطرف والغلوّ، حتى يبرروا ويسوغوا موقفهم ويمنحوه درجة الإقناع القصوى لدى أتباعهم. ولا غرو في أن الوقت قد حان لكي نأخذ بزمام المبادرة ونسد الطريق على هؤلاء الذين يسعون من أجل حرف «الكلم عن مواضعه»، وأن هذا الأمر يبدأ بإيقاف العمل بالعديد من الآيات القرآنية المتعلقة بالجهاد والقتال المختلفة وليس إلغاءها «**لا سامح الله تعالى**»، ذلك أن مصلحة الإسلام والمسلمين في ظل الظروف والأوضاع السلبية الحالية التي ليست في صالحهم أبداً، هي في إيقاف العمل بآيات القتال والجهاد على أن يصدر فتوى وموقف جماعي من جانب العلماء المسلمين في سائر أرجاء العالمين العربي والإسلامي، كي يقطعوا الطريق على الجماعات المنحرفة والضالة ممن تسعى لشراء كلام الله بثمن قليل، وإن الآيات القرآنية التي لا بد لعلماء الأمة الإسلامية من إيقاف العمل بها من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين إلى إشعار آخر هي ٢١٤ آية تقريباً، إن النسبة المئوية لهذه الآيات في القرآن الكريم هي ٣,٥٪، وإننا عندما نطرح ونقترح إيقاف العمل بهذه الآيات فإن هناك مبررات ومسوغات عديدة لذلك من بينها:

- إمكانية استغلال هذه الآيات الكريمة وتوظيفها لصالح تنفيذ مخططات بالغة الخطورة من أجل تحقيق أهداف وغايات تمس الإسلام ذاته وتلحق أكبر الضرر بالمسلمين.

- عدم التصدي لمزايدة المتطرفين والإرهابيين ذوي الأفق الضيق بهذه الآيات، من شأنه أن يوسع الدائرة لتشمل آيات أخرى ويتم سوقها بالاتجاه

نفسه، وهو ما يعقد معالجة المشكلة ويجعلها أصعب من أيّ وقت مضى.

- عدم اتخاذ موقف جدي وفعال من جانب علماء الأمة بهذا الخصوص، من شأنه أن يزيد من الهوة والبون الذي يفصلهم عن قطاع عريض من المترددين الذين لديهم فهم تشوبه الضبابية بشأن تلك الآيات، وبهذا فإننا نساهم بإبقاء الأرضية والمناخ المناسب على حالهما من أجل مد التطرف والإرهاب بالمزيد من الأعضاء الجدد.

- خوض الجهاد والقتال ضد من تسميهم الجماعات المتطرفة بالصليبيين الكفار أعداء الإسلام بموجب تلك الآيات، والذي لم نرَ تطبيقاً عملياً له بحيث يشمل القوات العسكرية الأمنية مثلاً، وإنما هي مقتصرة على التعرض لأهداف مدنية إنسانية متعارضة مع أحكام مبادئ الإسلام، وهو ما يساعد كثيراً في هذا العصر الذي هو عصر العلم والثقافة على الإساءة للإسلام.

- الجماعات المتطرفة التي تتصيد في منابع الغلوّ، ستبقى لهم مواطئ أقدام ومساحات يقفون ويتحركون عليها، وهم يؤكدون لأتباعهم بأن لا أحد يجرؤ على تكفيرهم أو إصدار فتوى صريحة ضدهم طالما بقيت هذه الآيات الكريمة على حالها ولم يتم اتخاذ موقف مناسب منها بما يلائم مصلحة الإسلام والمسلمين يقوّض مخططات المتطرفين والإرهابيين، وهنا لا بد من أن يكون لعلماء الأمة من كل المذاهب موقف موحد واضح صريح ضد هذه الجماعات التكفيرية والإرهابية والمتطرفة كي توضع النقاط على الأحرف ويتبين الحق من الباطل.

- لا بد من أن يكون لعلماء الأمة الإسلامية من مختلف المذاهب، موقف موحد واضح صريح تجاه هذه الجماعات المتطرفة من جهة وبالنسبة للآيات القرآنية الكريمة التي يستغلونها لصالح أهدافهم وغاياتهم المبيتة، أمام الأوساط الثقافية الفكرية والدينية في العالم بحيث تثبت الموقف الحدي الحازم للإسلام من رفض إدانة التطرف والإرهاب وعدم القبول بهما إطلاقاً.

والمشكلة التي طالما عانينا من آثارها وتداعياتها خلال تأريخنا المعاصر، هي أننا دائماً كنا نقف في خانة الانتظار ولا نجرؤ على التقدم إلى خانة المبادرة، وتلك هي بقناعتنا أساس المشكلة وبيت الداء، ذلك أننا إذا ما ابتغينا أن نكون في الموقع المناسب والملائم لنا، فإننا لا بد من أن نعمل من أجل ذلك ولا ننتظر كما فعلنا ونفعل حالياً.

الإسلام ومنذ انطلاقته الأولى كان سباقاً لأخذ زمام المبادرة والعمل باتجاه فرض دور حيوي وديناميكي له، وإننا إذا ما راجعنا العصور والمراحل التاريخية والمتباينة، فإننا نجد أنفسنا أمام هذه الحقيقة، وإننا إذا ما شددنا كأمة على أننا نمثل الإسلام الوسطي والاعتدالي، فإن ذلك يتطلب منا أن نتحرك وفق الضوابط والآليات والمقومات التي حددها الإسلام لذلك، وعلينا أن نستنطق القرآن الكريم ونعرض عليه المشكلة أو الأزمة ونسعى بكل حرص وأمانة للعثور على الإجابة الشافية والوافية في الآيات الكريمة وإن أخفقنا في ذلك فإن السُّنة النبوية الشريفة تنتظرنا لكي نبادر إلى استنطاقها بحثاً عن الإجابة الشافية، وبفرض المحال من أننا لم نجد الإجابة الشافية، فحينئذٍ علينا

أن نعمل وفق ما تمليه عليه عقولنا، والعقل هو الحجة التي على أساسها يحاسبنا الله عز وجل ويحدد ما إذا كنا نستحق الثواب أم العقاب.

مع وجود بعض التحفظ لنا بخصوص أسلوب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم والذي يبدو مختلفاً عن أسلوب التفسير التجزيئي للقرآن والذي دأبنا وتعودنا عليه منذ سالف الزمان، لكننا مع ذلك نعتقد بأن التفسير الموضوعي للقرآن، هو نقلة نوعية للمسلمين باتجاه الاستفادة التامة والشاملة والكاملة من القرآن الكريم، وكما أنه وبحسب هذا الأسلوب من التفسير يتم عرض المشكلة أو الحالة المعينة على القرآن والبحث عن الإجابة بين آياته الكريمة، فإننا قمنا وبالسياق نفسه بعرض الحالة الشاذة الحالية التي تعاني منها أمتنا وعرضناها على الإسلام برمّته، قرآناً وحديثاً وتاريخاً لنستخلص الإجابة المرجوّة، وقد كانت غايتنا وهدفنا الأساسي من وراء ذلك هو خدمة الإسلام ومصالحه العليا التي نراها فوق كل اعتبار.

كيف نحقق المعجزة؟

لا غَرْوَ في أن الدعوة التي طرحناها، ستثير عاصفة من الشكوك والتوجسات، هذا غير الرفض، وخصوصاً من جانب أولئك الذين يسعون بكل ما في وسعهم من أجل إبقاء التربة خصبة لاستمرار هذه الحالة السلبية التي أضرت وتضر بالأمتين العربية والإسلامية، خصوصاً وأننا نجد أن العالم كله قد أدار ظهره لدعم ومساندة شعوب العالم الإسلامي وإغاثتها بسبب تواجد التنظيمات والجماعات المتطرفة والإرهابية بين صفوفها، ولئن كنا دائماً ننتقد الموقف الدولي تجاه قضايانا وننعته بشتى الأوصاف السلبية مع علمنا وتيقننا من الخلل الفاحش المتواجد عندنا والذي نسعى للتغطية عليه بطرق وأساليب لم تعد تجدي نفعاً، وإنما هي مجرد خداع لأنفسنا قبل غيرنا وإضاعة لوقت يلقي بظلال آثاره السلبية ليس علينا فقط، وإنما على مستقبل أجيالنا الآتية، لذلك فإننا نرى أن الوقت قد حان فعلاً لكي نبادر إلى اتخاذ موقف صريح يريحنا ويريح العالم معنا ويصب قبل ذلك في مصلحة الإسلام والمسلمين.

نحن ومع إدراكنا ووعينا الكامل بخطورة وحساسية ما ندعو إليه، فإننا في الوقت نفسه ندرك جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقنا كعلماء لهذه الأمة في مهمة تستهدف تحقيق ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وقطعاً فإننا ومن خلال فهمنا للإسلام، فإننا نرى أنه لا مانع أبداً من تقديم المصلحة العامة على الخاصة ولا من تقديم الأمر الكلي على الأمر الجزئي، حيث إن آيات القتال والجهاد التي تعتبر قياساً إلى المصلحة العامة للأمة الإسلامية، مصلحة جزئية

أو جانبية، فإن تقديم اقتراح إيقاف العمل بها إلى حين من أجل حقن دماء وإنقاذ نفوس وعقول من التيه والضياع والضلال، صار أمراً ملحّاً، وهنا لا بد من الانتباه إلى ما يقوله الشاطبي بسياق يتفق مع ما نذهب إليه: «إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي؛ فالكلي مقدم؛ لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكلي يقتضي مصلحة كلية، ولا ينخرم نظام في العالم بانخرام المصلحة الجزئية، بخلاف ما إذا قدم اعتبار المصلحة الجزئية؛ فإن المصلحة الكلية ينخرم نظام كليتها».(١٣١) ومن هذا المنطلق والاعتبارات التي طرحناها، فإننا ندعو علماء الأمة الإسلامية من سائر أرجاء العالم الإسلامي من أجل عقد اجتماع واسع وطارئ للبحث في هذا المقترح من مختلف الأوجه، ذلك أن الأوضاع لم تعد تتحمل أكثر من ذلك، وعلى العلماء الأجلاء أن يكون لهم موقفهم الصريح والواضح الذي يضع الأمور في نصابها ويحدد الموقف الصحيح والصائب الذي اتفق عليه علماء الأمة من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين.

هذا الاجتماع الذي ندعو إليه بإلحاح، إنما يصب في مصلحة الإسلام والمسلمين معاً، ذلك أن العلاقة ما بينهما من القوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما، حيث إن ترك ساحة الإفتاء لأناس وأفراد لا يفكرون في المصلحة العامة التي هي المصلحة العليا، وإنما يضعون جل اهتمامهم فيما يحملونه في رؤوسهم من أفكار ومزاعم ضالّة ومضلّة، فإن ذلك لا يخدم الإسلام والمسلمين بشيء بقدر ما يلحق أفدح الأضرار بهما.

الإسلام اليوم أمام موجة جديدة ليست غريبة، وإنما فريدة من نوعها من الخوارج، موجة تجمع في ثناياها كل تعصب وغلوّ وحقد العصور الماضية،

وإشكالات وإرهاصات ومستجدات العصر الحالي وتعمل جهد إمكانها كي تحقق ما قد عجز عنه أسلافهم، وإننا نودّ أن نلفت أنظار العلماء الأعلام لهذه الأمة إلى حقيقة مهمة وخطيرة جداً، وهي: إن المتطرفين والإرهابيين يصبون جام غضبهم وحقدهم وعدوانيتهم على المسلمين بالدرجة الأولى، ولو أننا قمنا بعملية مقارنة ما بين الأهداف غير الإسلامية والأهداف الإسلامية التي استهدفها المتطرفون والإرهابيون، لوجدنا أن التركيز الأكبر كان على المسلمين، وحتى يمكننا القول إنه لا مجال للمقارنة بينهما.

إننا نتساءل، ونعتبر ذلك من حقّنا، ونضع تساؤلنا نصب أعين علماء الأمة الإسلامية، هل إن آيات الجهاد والقتال قد نزلت لكي يقتل المسلم أخاه المسلم؟ هل إن هذه الآيات قد جاءت لكي يتم توظيفها في قتل وتشريد ودمار الملايين من الأنفس المسلمة في بلدان الإسلام وإيصال الأوضاع فيها إلى حالة مزرية ووخيمة بحيث يضرب بها الأمثال؟ ثم إلى متى الاستمرار في التهرب من مواجهة سلبيات الواقع وعدم تحمل المسؤولية المترتبة عليها؟

إننا عندما نطرح رأينا بإيقاف العمل إلى إشعار آخر بآيات القتال والجهاد من جانب العلماء المسلمين، فإن طرحنا هذا لا يتناقض ويتعارض مع الإسلام وروحه المرنة وتعاليمه السمحة التي وكما تمنح قضية استمرار حياة الإنسان المسلم أهمية واعتباراً خاصاً بحيث يجوز له تناول لحم الخنزير المحرم بنص قرآني صريح، فإنه ولا بد له من أن يضع مصلحة الأمة فوق كل اعتبار، ذلك أنه فيما لو كان هناك ما يدعو لإيقاف العمل بآية تحريم من أجل استمرار حياة فرد مسلم، فكيف الحال إذا ما كانت الأمة كلها تواجه خطر الإبادة والموت؟

ما نطرحه ليس مجرد رأي عابر وطارئ تم استشفافه واستخلاصه على عجالة، وإنما هو عصارة تفكير وتمحيص أعوام عديدة أقضّ خلالها ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقنا، مضجعنا، ورأينا بأنه لا مناص من أن نفكر بطريقة وأسلوب استثنائي نستمد أساسه وروحه من القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة بحيث نأخذ بزمام المبادرة من الدخلاء والطارئين على الدين ونضع حدّاً لإراقة الدماء وإزهاق أرواح المسلمين والمسلمات عبثاً ومن دون طائل في دوامة مجنونة وطائشة لا يعلم نهايتها وخاتمتها إلا الله سبحانه وتعالى.

إننا اليوم أمام مسؤولية بالغة الجسامة تستدعي منا كعلماء لهذه الأمة أن نعمل كل ما بوسعنا من أجل أن نكون في مستوى المسؤولية ونصحح المسار الخاطئ الذي يسعى البعض دفع الأمة إليه عنوة بضغط من الأفكار المتطرفة والإرهابية التي تقوده نحو منحدر التهلكة، حيث إن أمتنا وفي هذا العصر تحديداً بحاجة لكي تأخذ مكانتها ومركزها الذي يليق بها في مجال العلوم والتقدم الذي صار يعمّ مختلف المجالات، وجدير بأمتنا أن تدلي بدلوها وتبادر إلى خوض غمار مجال العلوم والتقدم التكنلوجي، وتقوم بتوظيفه من أجل خير ورفاه هذه الأمة التي يجب أن لا ننسى بأن الخليفة العباسي هارون الرشيد كان قد أهدى ساعة رملية لملك فرنسا شارلمان الكبير، فأثارت دهشته وتعجبه، ويجب أن نأخذ الدروس والعبر من هذا المثال المعبر الذي يثبت أن أمتنا كانت في سابق العصر والأوان هي التي في المقدمة وتسعى الأمم للاحتذاء بها، وأننا لسنا بحاجة أبداً في هذا عصر كهذا تشهد فيه العلوم تطوراً استثنائياً إلى أن نظهر أنفسنا كمجاميع من الهمج والمتوحشين المتعطشين لإراقة وسفك الدماء

ونشر الفوضى والرعب والدمار في العالم كله.

علينا الآن أن نفكر مليّاً في عصر كنا فيه أصحاب علماء نظير ابن خلدون وابن سينا والفارابي والخوارزمي وجابر بن حيان والأسمائي والكندي وابن النفيس وعباس بن فرناس وأمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت والرازي وابن الهيثم وابن رشد وأبي الريحان البيروني والمئات غيرهم، ونقارنه بهذا العصر الذي نكاد أن نجد أمتنا مغيبة تقريباً لأنها انشغلت بأمور وقضايا أضافت إلى همومها هموماً، ومثلما أن هناك من يزعمون كذباً وزيفاً وبهتاناً باستحالة أن تحقق أمتنا تقدماً يوصلها إلى مصاف الأمم المتقدمة، وهم أنفسهم الذين يتباكون على تأخرها وتخلفها ويجزمون بأنه قد كتب على هذه الأمة التخلف والقصور، فإن هناك أيضاً وللأسف البالغ من يرغب بإشغالها بالجماعات المتطرفة والإرهابية زاعماً بأن هذه الجماعات الغريبة عليها وأفكارها الشاذة هم امتداد للإسلام!!

نحن أمام مرحلة تاريخية حساسة علينا أن نفهمها ونستوعبها ونقرأ تفاصيلها بعناية، ذلك أنه وكما يقول أحد المفكرين: «**من يقرأ التاريخ خطأ فإنه يوظفه إلى غير صالحه**»، وإن أمتنا التي كان حالها للأمس كما يصفها جمال الدين الأفغاني: «**ما زلنا نختلف على غسل القدم ومسح القدم حتى لم يبق لنا في الأرض موطئ قدم**». فقد اندفعت في اتجاه خاطئ جداً أوصلتها إلى مفترق اتهامها بالتطرف والإرهاب والجهل، وهي في الحقيقة والواقع أمة «**اقرأ**» وأمة «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»، وأمة «**الوسطية والاعتدال**» وأمة «**الحكمة والموعظة الحسنة**»، فكيف وصلت إلى هكذا مفترق مشبوه

لا يمت إليها وإلى تأريخها المشرق والمجيد بصلة، أليس جدير بنا في موقف ووضع كهذا أن نعيد النظر في مجمل الأمور ونعمل ما بوسعنا من أجل كشف مواضع الخلل والخطأ لمعالجتها والتصدي لها بما يصححها ويجعلها في الطريق والسياق الصحيح؟

التآلف الأساس والجوهر والمعدن الأصلي للإنسانية على اختلاف أديانها وانتماءاتها وأعراقها، وإننا نتساءل: **ما الذي دفع الإنسان كي يستقر ويؤلف عائلة ويبني ويشرع في بناء الأسس الأولى للحضارة والنظام والحياة الاجتماعية؟**

لا ريب في أن الإنسان عندما استقر به المقام بدأ بالعمل من أجل إتمام الدور الموكول إليه لأنه أفضل المخلوقات ومن سجدت له الملائكة، لم يكن كأيّ مخلوق آخر، وكان لا بد له من أن يتحمل أعباء ما قد أوكل إليه، وقد علم منذ البداية بأن السبيل لكي ينجز مهمته هذه تقوم على أساس إشاعة مقومات التآلف والمحبة والتعاضد بين المجتمعات الإنسانية.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: **ليتأسَّ صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية، لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون، كقيض بيض في أداحٍ، يكون كسرها وزراً، ويخرج حضانها شرّاً**».(١٣٢) وهذا الكلام لو بحثنا فيه بدقة وإمعان، لوجدنا أنه يرسم معالم طريق التآلف والتجانس والتناغم والتعاضد والتعاون بين مختلف أفراد وشرائح ومكونات المجتمع.

فالدين الإسلامي، ليس مجرد دين اعتيادي يدعو إلى مجموعة مفاهيم ومصطلحات عبادية محددة، بل إنه دين من طراز خاص، دين هو خاتم الأديان، أي يضع مسك الختام لرحلة الوحي ما بين السماء والأرض، ولذلك كان لا بد لهذا الدين من أن يكون له دور وثقل وتأثير يتناسب تماماً مع ذلك، خصوصاً وأن انتهاء رحلة الوحي تعني فيما تعني بأن الإنسان قد أصبح في مرحلة ومقام لم يعد فيه بحاجة إلى وصاية سماوية مباشرة، كما أن الدين الإسلامي أيضاً يحمل بين دفتيه كل ما من شأنه إعانة ليس المسلمين فقط، وإنما البشرية على الاستمرار والتواصل في الحياة، ومن الخطأ الفاحش جداً مجرد الاعتقاد والتصور أن ليس هناك من إجابة أو موقف حاد وحازم وصارم على حالة سلبية تستمد جذورها من فهم خاطئ للإسلام ذاته، فكما مر بنا عندما مررنا بحالات الفهم الخاطئ للإسلام والسعي لحمله على محامل لا تتفق إطلاقاً ومعاييره السمحة، كما كان الأمر مع الخوارج وحركة الزنج والقرامطة والحشاشين، حيث إن جميعها كانت تقوم باستغلال فهم سطحي خاطئ للنصوص الدينية وتقوم بسحبها باتجاهات متعارضة مع الأصل والأساس في الإسلام، أي **الوسطية والاعتدال**.

حوصرت المسيحية في القرن الثامن عشر بين فولتير ومحمد ﷺ، بين حركة التنوير والإسلام.(١٣٣) هكذا قال المفكر الكبير ول ديورانت، عن الإسلام، حيث إنه جعله ندّاً لحركة التنوير والإصلاح في أوروبا، مما يعني وبكل وضوح أن الإسلام يمثل ويجسد ويعبر عن حالة تنويرية وثقافية وحضارية يعتد بها، وإن هكذا رأي بالإسلام من جانب مفكر ضليع بتاريخ البشرية كلها، يمثل

شهادة حق وإثبات ببراءته الكاملة من كل ما يرمونه به من تهم باطلة بعلاقته بالتطرف والإرهاب، لكن الذي يحزّ في النفس ويدعو للحزن والأسى، هو أنه وفي الوقت الذي يعرب فيه مفكر بوزن ديورانت عن رأيه في حق الإسلام، فإنه من دواعي الألم والأسف أن نجد أن هناك بين صفوف أمتنا من يريد إثبات عكس ذلك تماماً، وهو الأمر الذي يدعو للتأمل والتفكير، ذلك أننا وفي الوقت الذي نمتلك فيه الحقيقة الكاملة والناصعة، لكن هناك في صفوفنا من يريد أن ينكرها ويقلبها باطلاً، والأنكى من ذلك هو أننا نبقى من دون رد فعل عملي ورادع ضده، وإنما نكتفي بملاحظته والانتظار لما ستؤول إليه العاقبة!

رأي ديورانت أوردناه، لأنه يعتبر رأياً ذا أهمية خاصة وذا قيمة اعتبارية، ذلك أنه وفي القرن الثامن عشر، لم تكن الدولة العثمانية وقتئذٍ على ما يرام حتى نربط بينها وبين صعود دور الإسلام وقتئذٍ، بل إنها كانت تسير بخطى متعثرة، وإن قوة وعظمة الإسلام كانت وستبقى مرتبطة ونابعة من قوة حجته والديناميكية والمرونة التي تكتنفه. فالإسلام ليس عبارة عن مدرسة للحرب والقتال حتى نجعله مقتصراً عليها، بل هو مدرسة فكرية فلسفية أخلاقية سياسية اجتماعية شاملة، وقد أثبت وعلى مر العصور بأن سر قوته وعظمته يكمن في بعده وعمقه الفكري، فهو رسالة للتكامل والسمو الإنساني، وحري بنا أن لا نغفل عن هذا البعد ونمنحه ذلك الاهتمام الذي يستحقه.

نحن بحاجة ماسة جداً وبصورة مستمرة لاستنطاق الإسلام ككل، أي كقرآن وسُنة وتاريخ، والبحث المستمر عن إجابات لإشكالات معينة تضعنا أحياناً في موقف الحيرة، فالإسلام ليس مغارة سحرية توجد الإجابة بطرفة

عين، وإنما الإسلام حالة فكرية تستوجب على الإنسان دائماً سبر غورها بعقله المزود بضياء أبجديات وإحداثيات الإسلام من قرآن وسُنة وتاريخ، وعملية سبر الغور تنطلق من عرض حالة ما على الإسلام ككل، والسعي لاكتشاف الإجابة المطلوبة عنه.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين**»، هذا الكلام الوجيز والذي يتضمن معاني بليغة مفصلة، يضعنا أمام حقيقة مهمة، تدعونا لكي نقوم بتوظيف واستخدام عقولنا لاستكناه الحقائق واتخاذ المواقف اللازمة والمناسبة منها.

اليوم، وعندما نجد الجماعات المتطرفة والإرهابية تتمسك ببعض الآيات القرآنية وتجعلها «**كلمة حق يراد بها باطل**»، والأسوأ من ذلك عندما نجد أن هناك صوتاً وصدًى للرؤية الخاطئة والمغلوطة لها لدى الشارعين العربي والإسلامي ولا سيما عند الأجيال الشابة، خصوصاً وأنه لا يزال هناك إشكال عند البعض من علماء الأمة بشأن تكفير هذه الجماعات، فإنه لا مناص من الدعوة لإيقاف العمل إلى إشعار آخر بهذه الآيات، عملاً بمبدأ التزاحم (**في الفقه الشيعي**)، وفقه الأولويات (**في فقه أهل السُّنة**)، حيث إنه وباختصار يقدم الأهم على المهم، أو تقديم الأقل مفسدة على الأكثر مفسدة، أثناء تزاحم الأداءات وامتثال الحكم الشرعي، كمن يتناول المحرم لإنقاذ النفس المحترمة باعتبار أن ارتكاب المحرم مفسدة وهلاك النفس مفسدة أكبر، أو من ينقذ غريقاً بارتكابه حرمة المرور في بستان يؤدي إلى النهر، فكذلك إيقاف العمل بآيات

القتال والجهاد التي بات كل من يهب ويدب يبادر إلى استغلالها واستخدامها كما يتلاءم مع حالته النفسية والانفعالية أو فهمه القاصر.

هذا الوضع السلبي الذي نواجهه وندفع عن طيب خاطر ضريبته الباهظة جداً والتي يتحمل تبعاتها وعواقبها أجيالنا القادمة من دون أن يكون لهم أيّ ذنب بذلك، لا بد أن نعترف بأنه من الصعب جداً تغييره بين عشية وضحاها، فهو وليد ونتاج عصور متعاقبة وله جذور راسخة للأسف في تراثنا.

وواقعنا الفكري الذي لا بد من أن نعمل على حسم أمره من خلال اجتثاثه بكل دقة وعناية، ولا نقول إن حسم هذا الأمر صعب ومعقد، بل وأكثر من ذلك، إنه بحاجة إلى معجزة استثنائية لحله ومعالجته فيما لو تلافينا اتخاذ أية خطوة من جانبنا حياله كما هو الحال، ذلك أن القضية كما أوضحنا لها علاقة بنصوص قرآنية استندت وتستند إليها مختلف أنواع الفئات والجماعات المتطرفة التي تفسرها وتفهمها وفق أطر محددة ترفض أن تحيد عنها ولو قيد أنملة، وأننا إذا لم نتحلَّ بالشجاعة الكافية ونسرع لمعالجة الأمر، فإن النتائج والآثار السلبية ستتفاقم أكثر فأكثر وستدفع فاتورتها بالدم والمال والعرض، أمتنا الإسلامية بشكل عام، والشعوب التي تعاني من تلك المجموعات المتطرفة الأمرّين.

المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء المسلمين، والذين أوصى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، الأمة الإسلامية بجعلهم مرجعاً لهم في كل المشاكل والأزمات التي تواجههم، وهم أيضاً وبحسب الحديث النبوي الشريف ورثة الأنبياء، هي مسؤولية بالغة الخطورة والحساسية، وقطعاً فإن منحهم هكذا

اهتمام استثنائي لم يمنح لغيرهم إطلاقاً، فإنما ينبع من الدور المصيري الذي يمكن أن يلعبوه في الحالات والأوضاع الطارئة التي تستجد وتواجه الإسلام والمسلمين. وبطبيعة الحال فإن هذه المسؤولية هي أكبر بكثير من مسؤولية حكام البلدان الإسلامية، ذلك لأن الإسلام كدين ومنهاج وشريعة هو أمانة في عهدة وذمة العلماء المسلمين، وأن العلماء المسلمين هم الذين يحددون صلاح وفساد الأمور وهم الذين يحددون كل المسائل والأمور التي تتعلق بالشريعة الإسلامية أو تمسها، وأن الأوضاع الحالية وما تقوم به الجماعات المتطرفة والإرهابية، هو باعتقادنا من صميم واجبات العلماء المسلمين الذين يجب عليهم التصدي لها وإيجاد الطريق والسبيل الذي يكفل إيجاد حل حاسم وحازم له.

ما جناه الغلوّ والتطرف والإرهاب على أمتنا

ظاهرة التطرف والإرهاب التي تدعي ظلماً وبهتاناً وتزييفاً وتحريفاً للحقائق، بانتمائها للإسلام والمسلمين ودفاعها وذودها عن المصالح العليا لهما، لا غرو في أن أكثر طرف أصابته الأضرار وعلى مختلف الأصعدة وفي كافة المجالات، هو الإسلام والمسلمين، ذلك أننا لو أجرينا دراسة دقيقة تتناول الأضرار التي خلفها التطرف والإرهاب خلال العقود الثلاثة الماضية لوجدنا ومن دون أدنى شك بأن البلدان والشعوب الإسلامية هي الأكثر تضرراً ومن مختلف النواحي، ابتداء من الناحية الروحية ومروراً بالناحية المادية وانتهاء بالناحية الروحية، والأكثر إيلاماً على المسلمين أن هناك من يسعى لسحب ظاهرة التطرف والإرهاب على الإسلام والمسلمين، رغم أن التطرف والإرهاب أمر يمكن أن نجده في العالم كله ولكن بدرجات متفاوتة، لكن ليس من العقل والمنطق والحكمة والإنصاف ربط التطرف والإرهاب بجماعة أو شعب أو عرق أو دين معين، فالتطرف والإرهاب ظاهرة غير إنسانية ليس لها عرق أو دين أو طائفة.

من خلال تسليطنا الأضواء على الحركات والجماعات المتطرفة عبر التاريخ الإسلامي وكيف أنها حاولت بطرق ملتوية ومشبوهة تجيير الدين وتوظيفه لصالحها، فارتكبت الجرائم الفظيعة التي يندى لها الجبين بحق المسلمين، وسلبت منهم الأمن والراحة والطمأنينة وأدخلتهم في دوامة من العنف والدماء التي كلفت المسلمين الكثير الكثير، فإننا وعندما نتمعن في الأوضاع الحالية للشعوب العربية والإسلامية المكتوية بنار التطرف والإرهاب، ونقارنها

بالمراحل التاريخية السابقة، فليس في وسعنا سوى القول وبكل ثقة واطمئنان: ما أشبه اليوم بالبارحة!

إننا نشعر بالكثير من الألم عندما نرى اليوم هناك من يتهم ظلماً الإسلام والمسلمين بدعم ومساندة التطرف والإرهاب، في حين إن المتضرر الأكبر منها كان ولا يزال الإسلام والمسلمين، ولو قمنا جدلاً بالمقارنة بين ما لحق من ضرر بالإسلام والمسلمين من جراء التطرف والإرهاب وبين ما قد لحق بغير المسلمين، فإن الذي قد لحق بالإسلام والمسلمين من أضرار وخسائر من النواحي الفكرية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية والروحية، جسيمة جداً بحيث لا يمكن مقارنتها إطلاقاً بالطرف الآخر.

من يتطلع إلى الأوضاع الجارية في البلدان التي يضربها التطرف والإرهاب والتي من أهمها العراق وسوريا واليمن وليبيا، فإنه يرى بأم عينيه حجم المأساة المروعة التي لحقت وتلحق بشعوب هذه الدول، هذا إذا وضعنا جانباً النشاطات الإرهابية التي تضرب بقوة وعنف بلداناً عربية وإسلامية أخرى بين الفينة والأخرى.

هؤلاء الذين يدّعون ظلماً وبهتاناً بأن الشعوب الإسلامية تؤيد وتدعم التطرف والإرهاب عليهم وهم يدلون برأيهم المناقض للحقيقة والواقع أن يعلموا:

. التطرف والإرهاب ألحق ضرراً فادحاً بالأمن القومي للبلدان العربية والإسلامية التي تعاني من تلك الظاهرة السلبية وجعلها مرتعاً للنشاطات

والفعاليات الإجرامية.

- التطرف والإرهاب، ألحق أكبر الأضرار بالبنى التحتية لبلدان المنطقة من ضمنها العراق وسوريا وليبيا، كما أنه يلعب دوراً بالغ السلبية في استنزاف ثروات ومقدرات الشعوب العربية والإسلامية وصرفها على حرب لا خير فيها لا للإسلام ولا للمسلمين.

- التطرف والإرهاب أثّر سلباً على الأمن الاجتماعي لبلدان المنطقة فولد وأفرز حالات من الكراهية والعداء الدموي بعد التلاعب والعبث بالبناء الديموغرافي لهذه الشعوب.

- التطرف والإرهاب، دفع أبناء شعوب البلدان العربية والإسلامية إلى النزوح ليس عن أوطانها، وإنما حتى التشرد فيه والعيش في ظلال الموت والفقر والمجاعة.

- التطرف والإرهاب، أثّر سلباً وبصورة بالغة على الوجه المشرق والحقيقي للإسلام من حيث كونه ديناً اعتدالياً وسطياً يؤمن بالحوار والنقاش والتواصل، وسعى كذباً وتمويهاً للإيحاء بأنه معادٍ للإنسانية والتقدم والحضارة.

- التطرف والإرهاب خلق حالات ارتداد عن الإسلام، وصار الحديث عن أن الإسلام هو دين السيف والقتل والتطرف حديثاً ملفتاً للنظر ليس في وسعنا تجاهله والتغاضي عنه، خصوصاً عندما يتم نشر تعاليم خاطئة وغير صحيحة عن الإسلام، مع الانتباه إلى أن محور الحديث يتعلق بآيات القتال والجهاد.

- التطرف والإرهاب خلق حالة من الكراهية الشديدة للإسلام في الدول غير المسلمة أو ما يعرف بـ «الإسلامفوبيا»، وهي حالة تنعكس سلباً على الملايين من أخوتنا المسلمين المتغربين والقاطنين في بلدان غير إسلامية.

- التطرف والإرهاب، يسعى بصورة أو بأخرى للإيحاء بأن الخيار الوحيد للإسلام للتعامل والتعاطي مع غير المسلمين وحتى المسلمين أنفسهم، هو خيار العنف والقوة والإكراه.

من هنا، فإننا نرى بأنه من الأولى على الذين يتهمون الإسلام والأمة الإسلامية بدعم التطرف والإرهاب، أن يعيدوا النظر في أحكامهم ويتروووا فيها ولا يطلقونها جزافاً قبل أن يطلعوا على الحقيقة والواقع ويتفحصوا القضية من مختلف جوانبها. كما أننا نريد أن نلفت أنظار علماء أمتنا الأجلاء من مختلف المذاهب الإسلامية، إلى أن أنظار العالم كلها متجهة إلينا وتطالبنا بموقف صريح وحدّي وحاسم من التطرف والإرهاب، موقف يتجاوز التبريرات والتسويغات النظرية إلى ساحة العمل والتطبيق، فنحن عندما نؤكد على أن الإسلام دين وسطي اعتدالي يرفض التطرف والإرهاب ولا يمكن أن يقبل به أبداً، فإن هذا الكلام لا يكون مفهوماً من جانبهم-أي من جانب العالم غير الإسلامي- طالما كان هنالك متطرفون يقومون بتنفيذ أعمال إرهابية بالاستناد إلى نصوص من القرآن الكريم، وهؤلاء أيضاً لا يفهمون ولا يستوعبون مبررات ومسوغات وظروف الاستفادة من آيات القتال والجهاد والعمل بها، طالما كان العمل بهذه الآيات مباحاً وجائزاً وليس هناك من مانع أو معوق

لذلك. وإن إيقاف العمل بهذه الآيات إلى إشعار آخر بفتوى جماعية صادرة من علماء الأمة سيكون من شأنه سد الباب نهائياً على المتطرفين للاستفادة منها، خصوصاً عندما يتم سن قوانين صارمة في الدول العربية والإسلامية بناء على هذه الفتوى تكون بمثابة ليس فقط رادعاً عقابيّاً فحسب، وإنما أيضاً طوق نجاة يتم تقديمه للأجيال الشابة كي لا تقع فريسة بين مخالب التطرف والإرهاب، ويومئذٍ فإننا سنثبت للعالم بأننا كعلماء مسلمين قدمنا آخر ما في وسعنا من أجل القضاء على التطرف والإرهاب، لأنها كانت وستبقى وبحكم ما قد ورد في القرآن الكريم والسُّنة النبوية، مهمة ملقاة على عاتقنا ويجب أن نعمل ما بوسعنا من أجل الأخذ بزمام المبادرة وعدم ترك الساحة خالية للمتطرفين والإرهابيين الذين أضروا ويضرون بالإسلام والمسلمين.

ضرورة تجديد الخطاب الديني

الأسلوب الفوقي والسطحي والارتجالي وغير المدروس في مخاطبة الأجيال الشابة، والذي يميل إلى الطابع الخشبي، والذي يطغى على الخطاب الديني، هو أسلوب أكل عليه الدهر وشرب ولم يعد مفيداً إطلاقاً في التعامل مع جيل يعتبر الأساسي في المجتمع الإسلامي، ذلك أن هذا العصر الذي نعيش فيه هو عصر له مقوماته ومعاييره الخاصة المختلفة عن العصور السابقة، ونعتقد بأن الحاجة ماسة وضرورية للعمل من أجل تجديد الخطاب الديني بحيث يكون في إطار وسياق يجعله قابلاً للتلقي والإصغاء إليه وتقبله.

الخطاب الديني ولا سيما الموجّه للشباب الإسلامي-ونحن نعني الجنسين-، يتعامل مع الشباب وكأنه أمر خاص منفصل عن سياق الحياة الفكرية والاجتماعية، ذلك أن هذا الخطاب بأسلوبه ونمطه القديم، يجري في سياق بحيث يجعل الحالة الدينية منفصلة عن الحالة العامة، أي بمعزل عن الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية وغيرها، فالخطاب الديني السائد قد عوّد الشباب على أن الدين حالة منعزلة يجب التعامل معها بحذر وتوجس وروح انضباطية، بمعنى أن هذا الخطاب عندما يتم توجيهه إلى الشباب فيستوجب عليهم أن يخلعوا عن أنفسهم رداء الحياة العادية ويصبحوا بين إطار أربعة جدران معزولة عن العالم، وهذه الحالة لمسناها بوضوح من خلال لقاءاتنا وندواتنا وأحاديثنا الخاصة مع نماذج مختلفة من الشباب وفي بلدان مختلفة، وهذا ما دفعنا للتفكير مليّاً بحالتهم والسعي لإيجاد سبيل وطريقة من أجل معالجتها بما يقيهم ويحصنهم من العديد من الأخطار والتهديدات الفكرية

والثقافية المحدقة، ولقد وجدنا أن هناك خللاً في الخطاب الديني السائد الذي يجب العمل من أجل تغييره بما يتلاءم مع روح العصر الذي نعيشه.

تجديد الخطاب الإسلامي في عصر تتزاحم فيه الخطابات المختلفة وتسعى عبر طرق وأساليب مختلفة ومتنوعة لإيجاد طرق وأماكن ومراتع لها في العقول والأفكار، قضية ملحة لا مناص من طرحها والمطالبة بها بقوة، ذلك أن الخطاب السائد والذي للأسف نرى أنه لم يعد يستأثر بالاهتمام المطلوب لدى الأجيال الشابة تحديداً، كما أن الكثير من الأطراف والجهات قد استغلت الثغرات وما إليها.

بهذا الخطاب ووظفته من أجل التشكيك بالإسلام ودفع الشباب المسلم لكي ينأى بنفسه أكثر عن دينه.

بقدر ما هنالك حالة من النوستالجيا (**الحنين**) لدى قطاعات من الأجيال المسلمة الشابة للإسلام فإن هناك حالة مضادة تقابلها، وهو الشعور بالاغتراب عن الإسلام لدى قطاعات لا يمكن الاستهانة بها من الشباب المسلم، وهي قطاعات تتسع يوماً بعد يوم، وحالة الاغتراب هذه هي بمثابة المفترق، وعندما نقول المفترق فإن ذلك يعني أن الشباب الإسلامي يتهددهم خطر الانسلاخ وليس الابتعاد فقط عن الإسلام. أما الحالة الأولى، أي الشعور بالحنين للإسلام، ولا سيما بين أعداد كبيرة من الشباب المسلم في سائر أرجاء العالم، ولا سيما في البلدان الغربية، فإن هناك أيضاً تهديداً يحدق بهذه الحالة، وهو الانجراف أو الانبهار بطروحات وأفكار تزعم أنها تمثل الإسلام الحقيقي في هذا العصر،

ولا ريب من أن عدم وجود خطاب إسلامي بالصورة المطلوبة التي يستدعيها الواقع، فإن الثغرة المضادة المفتوحة في الجدار الإسلامي ستأخذ بالاتساع يوماً بعد يوم، وهذا ما يعكس خطراً داهماً يجب أن نعمل على تلافيه.

المشكلة التي يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار وننتبه إلى وجه خطورتها، تتجلى في أن مشكلة الاغتراب عن الإسلام «ولاسيما بالنسبة للمسلمين في سائر أرجاء العالم» ليست حالة تختص بالأجيال الشابة فقط، وإنما أيضاً بالآباء والأمهات، إذ إننا وفي عصر صار فيه العالم أشبه ما يكون بقرية، فإن التأثيرات الفكرية (**ولا نقول الغزو الفكري**)، غير الإسلامية تتضاعف تأثيراتها، خصوصاً وأنها تحمل أفكاراً ومعايير أكثر عملية وتطبيقية من الأفكار والمعايير الإسلامية التي تعاني من أزمة الفهم والتفسير بين أطراف واتجاهات متنوعة، وهنا نود أن نلفت النظر إلى إن الخطاب الإسلامي الذي كان موجهاً للأم والأب المسلمَين في عقد الستينيات من القرن الألفية الماضية لو قارناه بنظيره في العقد الثاني من القرن الـ٢١، فإننا لانجد فيه أيّ اختلاف يذكر، وكأن الإنسان هنا حالة جامدة لم يطرأ عليه أيّ تغيير، وقطعاً فإننا هنا نوجه النقد واللوم إلى الذي يقوم ويستند عليه توجيه الخطاب، وقطعاً فإننا لا نستثني أنفسنا من هذا النقد واللوم، ذلك أن الخطاب الإسلامي السائد والذي لم يطرأ عليه أيّ تغيير جذري حقيقي بحيث يجعله بمستوى مسايرة العصر والتعامل والتعاطي مع كل المسائل والإشكاليات والأمور المطروحة، وأننا لو انتبهنا مثلاً إلى الخطاب الإسلامي السائد الموجّه للطفل مثلاً، فإننا نجد فيه الكثير من الثغرات التي يمكن أن يتم استخدامها من قبل الخطابات الأخرى، بل وحتى من قبل

الخطاب الذي يقوم بتوجيهه المتطرفون للطفل.

الخطاب الإسلامي الجديد، يجب أن يكون برأينا خطاباً شاملاً موضوعياً دقيقاً، ويجب أن يبدأ من الطفل ويراعي الحلقات الأخرى ويمنحها الاهتمام الكامل الذي تستحقه، خصوصاً وأن الإسلام كمدرسة فكرية _ ثقافية _ اجتماعية لا تعاني أية مشكلة في الأفكار والطروحات التي تتلاءم وتتجاوب وتتفق مع روح كل عصر، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ونبيّه الأكرم ﷺ، عندما منحا العلماء ذلك القدر الكبير من القيمة والاعتبار، فإن ذلك لم يكن عبثاً ومن دون طائل، فهم من تقع عليهم المسؤولية الكبرى في إدارة وتوجيه دفة سفينة الفكر الإسلامي، فإنهم يتحملون المسؤولية الكاملة في الاتفاق على نهج وسياق نوعي من خطاب إسلامي جديد يحمل على عاتقه تلك المهمة الشاقة.

وجه الخطورة الذي يجب أن ننتبه إليه جيداً ونأخذه بنظر الاعتبار في موضوع الخطاب الديني الموجه للشباب، هو أن الجماعات المتطرفة والإرهابية قد قامت بإجراء تغييرات آنية على الخطاب الديني المتشدد والذي فيه الغلوّ والذي كان نهج التيارات المتطرفة والإرهابية على مر العصور، وجعله في سياق بحيث يدغدغ مشاعر وأحاسيس وعقول الشباب، خصوصاً من حيث توظيفهم للشبكة العنكبوتية وللعديد من المساجد واستخدامها كوسيلة لإيصال خطابهم الضال الذي للأسف قد وصل فعلاً إلى قطاع لا يستهان به من الشباب، وهذا الأمر قد صار أمراً واقعاً علينا تقبله شئنا أم أبينا.

أمام هكذا حالة، فإن بقاء الخطاب الديني العام ولا سيما المعتدل الوسطي منه، يتعامل بالسياق التقليدي السائد من دون أيّ تجديد أو تحديث في أساليبه أو حتى في مضامين الأفكار التي يطرحها، خصوصاً وأن التزام هذا الخطاب بأسلوب يتسم بسمات تخلق حالة من النفور للشباب وتدفعهم لكي ينأوا بأنفسهم بعيداً عنه، إلى حد أن يقول: **أنا مسلم وكفى!**.

هذه السمات التي يتسم بها الخطاب الديني السائد، يمكن أن نجمل أهمها بما يلي:

- يتبع سبيل النصيحة بما يوحي وكأن الشباب لا يزالون قاصرين.

- يغلب عليه أسلوب التهديد والوعيد والإجبار والإكراه.

- يقدم حلولاً ومعالجات جاهزة سبق وأن تم تقديمها طوال العقود السابقة دونما أيّ تغيير، بحيث يغلق أبواب التفكير في التحديث والتغيير.

- هذا الخطاب نمطي فوقي يرفض الأسئلة غير التقليدية والطارئة والاستثنائية، وبذلك يدفع الشباب لكي يطرقوا أبواباً أخرى يجدون لديها الأجوبة المناسبة عن أسئلتهم.

- هذا الخطاب يميل أكثر لتهميش دور العقل والتفكير ويجعل الشباب أسرى طروحاته وأفكاره.

- الخطاب يلتزم الصمت تجاه الكثير من المتغيرات والأمور المستجدة والطارئة ويجنح نحو نهج وكأنه يوحي برفضه الضمني للحالات الجديدة والطارئة.

- هذا الخطاب يحذر كثيراً من التصدي لموضوعي حرية المرأة والجنس والاختلاط، ويكاد أن يسلك أسلوباً أقرب منه للتهرب، في حين إن للإسلام رأيه الصريح والواضح في هذه القضايا ومن المهم جداً طرحها وفق الرؤيا الاعتدالية الوسطية الواقعية.

من هنا، فإننا نجد الحاجة أكثر من ماسة كي نخرج الخطاب الديني من قمقمه المقدس الذي تم وضعه فيه خلال فترات كان يمكن الاستفادة منه في مخاطبة الشباب به، وعندما نقول إخراجه من قمقمه المقدس فإننا لا نقصد نزع حالة القداسة عنه، وإنما نزع حالة الرهبة المحاطة به بحيث تجعل الشباب يشعرون بأنهم أمام أمر واقع يجب عليهم تقبله وليس لديهم أيّ خيار آخر، بل يجب علينا أن نغير هذا النمط إلى أسلوب ونمط مختلف تماماً يتسم بروح التحاور والنقاش والأخذ والرد بما يمتص حالة الرهبة والجمود ويجعل الشباب في حالة من الثقة والاطمئنان بأنهم يتعاملون مع فكر حياتي يرتبط بواقع حياتهم وهدفه الأول والأخير هو التواصل معهم بما يمنحهم كل الخير والأمل والثقة لمواجهة الحياة وتحقيق الأهداف التي يرجونها.

الإسلام كما نعلم، أعطى المحاججة والنقاش أهمية استثنائية، فهو لم يقبل الاعتقاد والإيمان المبني على قناعات شكلية وسطحية فحسب، وإنما دعا إلى أن يكون ذلك على أساس القناعة الكاملة بعد عملية التفكير والتمحيص، ولا نعتقد إطلاقاً بأن الإسلام يفتقد أسس ومقومات النقاش والمحاججة في مواجهته لمختلف الأمور والقضايا.

مسك الختام الذي لا بد منه

أول كلمة خاطب الله تعالى بها نبي الإسلام ﷺ، كانت: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، والقراءة تعني باب ومدخل الثقافة الأساسي، وقد تليت الآية الأولى هذه التي بدأت بكلمة ﴿اقرأ﴾ على النبي ﷺ، والتي لو دققنا فيها مليّاً، لوجدنا أنها دعوة تحث الإنسان على التأمل الدقيق والبحث والتمحيص في الكون والواقع الموضوعي وفي عمق الذات الإنسانية نفسها، ذلك أن السورة القرآنية الكريمة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾(١٣٤)، بدأت بتوضيح خلق الله للإنسان من علق، ويبدو واضحاً جداً بأنه سبحانه وتعالى عندما يشرح للإنسان عملية خلقه وكينونته، فإنه بذلك يزيح عنه الشك ويمنحه الطمأنينة والاستقرار النفسي وهو مهم جداً لمن يريد أن يبحث ويتمعن ويتقصى في ما يحيط به ليخرج بخلاصة فهم وافية لها، أي إن الله جل وعلا، قد خاطب الإنسان من خلال النبي ﷺ في أول سورة وهو يمهد السبيل له لكي يتعلم ويزيح عن عقله ونفسه غشاوة الجهل والقلق والظلام. وإن ابتداء القرآن الكريم بهذه السورة، هو في حد ذاته ليس رسالة، وإنما دليل إثبات عملي على أن الإسلام هو دين الفكر والعلم والثقافة والتواصل.

القرآن الكريم لم يبدأ بآيات القتال والجهاد إلا بعد أن طفح الكيل بالنبي ﷺ، ولم يعد له من خيار، وقد بذل النبي ﷺ، كل ما بوسعه من أجل إيصال رسالته السماوية لقريش من دون إسالة قطرة دم عبر الحوار والتواصل، أي إن الإسلام

قد بدأ كدعوة فكرية ثقافية تربوية بعيداً عن كل أشكال استخدام العنف والقوة، ولم يكن هذا الأمر مجرد أمر طارئ أو عرضي، وإنما كان ولا يزال يشكل أساس ومصدر قوة الإسلام، وإن قريشاً عندما تهربت من المواجهة الفكرية والثقافية مع النبي ﷺ.

واستبدلتها بأخرى دموية، فإن ذلك كان بسبب إفلاسها وعجزها الفكري والثقافي، والأخطر من ذلك أن قريشاً هي من بدأت الحرب والقتال ضد النبي ﷺ بمحاولة قتله، وهذا أكبر دليل على أن الإرهاب قد تم استخدامه ضد الإسلام متمثلاً في نبيّه منذ البداية. والإسلام وكرد فعل على ذلك وبعد أن ضيقت قريش الخناق على النبي ﷺ والمسلمين ولم تبقِ لهم من خيار فعندئذٍ سار النبي ﷺ والمسلمون باتجاه الحرب والقتال ضد من يستهدفون حياتهم ووجودهم، وقد حدد الله سبحانه وتعالى ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾(١٣٥). فالإسلام لا يبادر بالقتال واستخدام العنف إلا بعد أن يجد نفسه مضطراً إلى ذلك دفاعاً عن حياة ووجود المسلمين والإسلام.

الإسلام قبل أن يشهر السيف ويحث على القتال والجهاد، قد رفع الكلمة ودعا للتواصل والتحاور والمناقشة والبحث، ودعا إلى إيجاد أرضية ومناخ مشترك بين الأمم والشعوب للتواصل والمحبة والاستمرار قبل أن يدعو لذلك بين الأديان، كما مر بنا في قوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

﴿ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾(١٣٦)، أو يقول الرسول الأكرم ﷺ: (**الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**)، وهذا ما يمكن استخلاص الكثير من المعاني والأبعاد الإنسانية منه، ذلك أن الإنسان وكما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**»، كما أن الخطاب الذي وجهه الإسلام للأديان الأخرى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(١٣٧)، ذلك أن الإسلام وكما أسلفنا القول، لم يدعُ للعنف والقتال من أجل فرض الآراء لقوة حجته، وإنما دعا للقتال دفاعاً عن النفس وردّاً للاعتداء.الحقيقة التي جرى ويجري العمل من أجل تغييبها أو طمسها أو تهميشها وإضعاف دورها، هي كون الأصل في الإسلام الوسطية والاعتدال، وإن ما قد شرحناه وسردناه آنفاً، يثبت وبصورة دامغة أنالإسلام هو دين الوسطية والاعتدال الذي يعتمد على التواصل والتحاور، وأنه ومنذ البداية أكد على ذلك واستمر على نهجه هذا طوال مسيرته التاريخية، فقد كان كذلك في خضم الأعمال والممارسات العدوانية لقريش في البداية كما أنه وفي عز قوته بعد فتح مكة، أكد بصورة جلية لا غبار عليها تمسكه الكامل بهذا النهج من خلال العفو الإنساني الكبير الذي أعلنه النبي ﷺ عن أهل قريش على الرغم من كل ما قد ارتكبوه بحقه وحق الإسلام والمسلمين، كما أنه وبعد استقرار دولته بقي غير المسلمين يعيشون بأمن وسلام وطمأنينة إلى جانب المسلمين، وأن مراحل التاريخ المختلفة تؤكد

وتثبت ذلك، وأننا لو نظرنا إلى البلدان العربية والإسلامية، لوجدنا أنها تحفل وتزخر بغير المسلمين الذين لم يلقوا إلا الخير والمحبة من جانب المسلمين، وأننا عندما نجد الجماعات والتنظيمات المتطرفة الإرهابية تلجأ إلى رفض وتصفية وإبادة المكونات غير الإسلامية بالاستناد إلى نصوص دينية، فإنهم يرتكبون جريمة مبينة يرفضها الإسلام قبل الجميع، ذلك أن هذه الجماعات تريد أن تتجاوز وتتخطى نقطتين هامتين وأساسيتين هما:

أولاً: الموقف الاعتدالي التسامحي من غير المسلمين وتوفير الأمن والأمان لهم إلى جانب أخوتهم المسلمين.

ثانياً: الحقائق التاريخية الدامغة بكون غير المسلمين قد عاشوا طوال العصور المختلفة للإسلام في كنف المسلمين ولم يتعرض أحد إليهم بسوء.

من هنا، فإن ما قد جرى للأيزيديين والمسيحيين والشبك وغيرهم في العراق وللمسيحيين في سوريا وغيرها، على يد المتطرفين والإرهابيين ليست من الإسلام في شيء، بل هي ممارسات وبدع ضالة يتحمل مرتكبوها وزرها الكامل أمام الله عز وجل بموجب الإسلام قبل أيّ شيء آخر، وإن هؤلاء الذين يسعون عبثاً ومن دون طائل لإحياء النهج الضال للخوارج والزعم من أنه الطريق الأصح للإسلام والذي للأسف يقوم بعض من الذين لم يفهموا الإسلام بتصديقه، في حين إننا ومن خلال النقطتين الآنفتين نجد دليلين من الواقع يثبتان وبصورة عملية حقيقة وواقع موقف الإسلام من غير المسلمين.

لكن هناك أيضاً نقطة مهمة أخرى يجب علينا أن نأخذها بنظر الاعتبار

والملاحظة، ذلك أن هذه الجماعات المتطرفة الإرهابية لم تقم بقتل وإرهاب وإرعاب غير المسلمين فقط، بل إن جرائمها ومجازرها وانتهاكاتها الصارخة قد شملت المسلمين أكثر من غيرهم، ذلك أن سفك دماء المسلمين وسبي نسائهم وقتل أطفالهم والاستيلاء على أموالهم سابقة لم نشهد لها مثيلاً إلا من جانب من ساروا على طريق ونهج الخوارج، وهذا ما يجب أن ننتبه إليه جيداً، بل إن أخطر ما في هذه الجرائم التي يرتكبها المتطرفون الإرهابيون وهم يدّعون بأنهم يعملون من أجل نصرة الإسلام والمسلمين، هي أن هذه الجماعات تمثل خطراً وتهديداً ضد الإسلام ذاته قبل المسلمين، حيث إنه وبعد مرور أكثر ١٤٠٠ عام على الإسلام وبعد كل ذلك التاريخ الطويل، يعود أحفاد وسليلو الخوارج وأصحاب الزنج والقرامطة والحشاشون، ليستلّوا سيف الغدر والجهل والظلام ضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص وضد الإنسانية بشكل عام، وهذا ما يعتبر خروجاً صريحاً على الإسلام ومبادئه السمحة التي تستوجب موقفاً صريحاً وحازماً من جانب علماء الأمة الإسلامية وعدم السماح إطلاقاً لهكذا جماعات ضالّة ومضلّة أن تستغل الدين الإسلامي وتسيء إليه أبلغ إساءة.

الإسلام كما أكدنا مدرسة فكرية ثقافية تدعو للتواصل الإنساني ولإشاعة ونشر قيم الإخاء والخير والمحبة، وهو قد طالب منذ البداية بالتحاور والتواصل والتشاور والنقاش كسبيل وأسلوب للحياة المدنية بمعناها الحقيقي، وإننا وفي الألفية الثالثة بعد الميلاد حيث نجد أن العالم قد صار متواصلاً وقريباً من بعضه بصورة لم نألفها من قبل إطلاقاً، فالعالم قد صار صغيراً بحيث أصبح

المرء يمكنه أن يوصل أفكاره وقناعاته بكل سهولة ويسر للآخرين، فيما نجد في الوقت نفسه أن العالم بدأ أيضاً برفض العنف والحروب والقسوة والإرهاب والتطرف، وأن كلمتي «**إرهابي ومتطرف**»، تعتبران أسوأ كلمتين يمكن أن توجههما لإنسان في عالم اليوم، وهنا نجد من الواجب التوضيح بأن الإسلام قد رفض التطرف والإرهاب وحاربه وسعى بكل ما لديه من إمكانيات من أجل القضاء عليه، وأن إلقاء نظرة على ما قد بيّناه خلال الفصول السابقة في هذا السياق يثبت ذلك بجلاء، ذلك أن سبي ٥ آلاف امرأة مسلمة على يد حركة الزنج واستباحة البصرة لأيام وإشاعة القتل والدمار فيها وما شابه من أحداث تاريخية دامية على يد الجماعات المتطرفة المعادية للإسلام، هو أيضاً أدلة تثبت بأن الأمة الإسلامية عانت من التطرف والإرهاب كثيراً ودفعت ثمناً باهظاً، لكن في الوقت نفسه هناك ما يثبت كما أسلفنا رفض الإسلام والمسلمين وعلماء وخلفاء المسلمين وأمرائهم لمثل تلك الجماعات التي تعيث في الأرض فساداً وتزرع الرعب والدمار في كل مكان تصل إليه. ولذلك فإنه من المفيد جداً أن يعلم العالم كله بأن الإسلام قد حارب التطرف والإرهاب طوال العصور التاريخية وأنه يجد نفسه معنيّاً بالاشتراك في الحرب ضد الإرهاب كما قام بذلك تاريخياً.

الحرب على الإرهاب والتطرف الديني التي ليس من السهل إطلاقاً وضع نهاية عاجلة وقريبة لها ما لم يتم العمل على ضمان أسباب الانتصار على تلك الظاهرة المعادية للإسلام والإنسانية، وإننا نرى أن الإسلام معنيّ أكثر من غيره بمحاربة التطرف الديني والإرهاب لأن المتطرفين والإرهابيين يقومون

باستغلال تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة وإدخالها في مدخل يتعارض ويتناقض تماماً مع الأصل الوسطي والاعتدالي له، وأنه ومن دون سحب البساط من تحت أقدام المتطرفين والإرهابيين وذلك من خلال العمل من أجل تحقيق نقطتين مهمتين أولهما بسعي دول العالمين العربي والإسلامي إلى منح اهتمام أكبر وأوسع للأوضاع الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية، والسعي من أجل تحسينها إلى جانب الاهتمام بالجانب الثقافي والفكري أكثر من أجل أن تكون هناك أرضية ومناخ ملائم من أجل عدم انجراف الأجيال الشابة خلف تلك المجاميع المتطرفة والإرهابية.أما النقطة الثانية التي يجب أن يتم منحهما الاهتمام الاستثنائي، فهي التي أسلفنا ذكرها وأكدنا عليها سابقاً من حيث اجتماع علماء الأمة الإسلامية من مختلف المذاهب الإسلامية والسعي من أجل الخروج باتفاق يوقف العمل بالآيات القرآنية في مجال القتال والجهاد إلى إشعار آخر، والإفتاء بعدم جواز العمل بها في أية ظروف وأوضاع ما لم يتم الاتفاق عليه مجدداً بين علماء الأمة الإسلامية، فذلك ما يقطع الطريق على أعداء الإسلام والمسلمين لاستغلال تلك الآيات وتوظيفها في سياق يلحق أكبر الضرر بالإسلام والمسلمين، خصوصاً وأن حالة «الإسلامفوبيا»، المنتشرة في العالم والتي وللأسف البالغ بدأت تنتشر في داخل بلداننا الإسلامية، من آثار ونتائج نشاطات وتحركات تلك الجماعات المتطرفة والإرهابية التي صار السكوت عنها وتجاهلها ينعكس بصورة بالغة السلبية على الإسلام والمسلمين.

الحرب على التطرف والإرهاب مع ضرورته وأهميته القصوى التي قطعاً لا

غنى عنها، لكن من المهم جداً أن نعلم بأن التطرف والإرهاب يستند أيضاً إلى أساس فكري ومنه يستمد وجوده وقوته واستمراره، وأن المواجهة العسكرية والحرب ضده لن يحقق النتيجة المرجوة إطلاقاً، إذ إننا نجد أن دول المنطقة والعالم ومنذ عام ٢٠٠١، تخوض حرباً ومواجهة ضد التطرف والإرهاب، لكننا نجد أن هذه الجماعات تزداد وتتشعب، بل وتتعقد أكثر، السبب الجوهري هنا، هو أن الحرب العسكرية على الإرهاب لم ترافقها وتتزامن معها حرب فكرية، إذ إن الفكر يواجه بالفكر، ولذلك فلا بد من أن نعد العدة للحرب والمواجهة الفكرية المناسبة، وكما جرى ويجري العمل من أجل تجفيف المنابع المالية للجماعات الإرهابية، فمن الضروري جداً أيضاً تجفيف منابعهم الفكرية والتي أخطرها آيات القتال والجهاد التي يستندون إليها ويستخدمونها كغطاء وستار ومبرر لاستمرارهم من جهة، ولحثّ وإقناع الأجيال الشباب بالانضمام إليهم والتغرير بهم من جهة ثانية، والذي يلفت النظر كثيراً ويجب أن ننتبه إليه هو أن تغرير هؤلاء الشباب الذين هم في مقتبل العمر يتم من خلال استغلال جهلهم بالإسلام وحقيقة وواقع موقفه من الغلوّ والتطرف والإرهاب حيث يتم حشو أدمغتهم اليافعة بأفكار ومبادئ متطرفة تحجر وتجمد النشاط العقلي لهم وتجعلهم أسرى حالة شاذة تتعارض مع الإسلام من عدة جوانب. ولئن كان هناك كم كبير وهائل من الكلام والأحاديث المختلفة عن الاعتدال والوسطية في الإسلام وأنه يرفض التطرف والغلوّ والإرهاب، لكن حتى هذا الكلام والحديث لا يتم نقله بالصورة المطلوبة بحيث يكون في مستوى ودرجة كافية لمخاطبة عقول وأفكار هؤلاء الشباب ودفعهم للاقتناع بهذا الخطاب والتحصن به ضد الأفكار المتطرفة الضالة المضلة.

نحن إذ نؤكد على أن الإسلام قاعدته الأساسية كان وسيبقى متمثلاً في الوسطية والاعتدال، والأدلة كثيرة على ذلك، فإن ذلك لا يعني أننا نريد الإيحاء بأن التطرف والغلوّ لا وجود ولا أثر لهما في الإسلام، فقد كان لهما على الدوام دور سلبي في مختلف مراحل التاريخ في مختلف الميادين، لكن أشدها خطورة كان التطرف والغلوّ في مجالي الدين والحكم، حيث إن تأثيرهما كان أسوأ ما يكون على البشرية. وباعتقادنا فإن هذه الحالة وفي العديد من المجالات بما فيها الدين نفسه، ستلازم الإنسانية وترافقها في مراحل تاريخية قادمة، لكن وفي المقابل لا بد أن ننتبه إلى أن الأساس في الكون والوجود والحياة الإنسانية كلها، كان وسيبقى هو الاعتدال والوسطية، لأن هكذا نهج وأسلوب هو الذي يكفل سبيل الحياة ويوفر شروطها ومستلزماتها وأجواءها. أما الغلوّ والتطرف فهو أمر طارئ وعابر حتى لو استمر لفترة طويلة نسبياً، فهو شأنه شأن الظلم، لن يدوم لأنه لا ولم ولن يكون الأصل والأساس إطلاقاً.

الإسلام كما أسلفنا، مدرسة فكرية بنيت على مبادئ الوسطية والاعتدال، وكما تمت ملاحظته فإنه ومنذ البداية اختار الإسلام طريق وأسلوب الحوار والتواصل والمناقشة من أجل حسم الأمور والتوصل إلى القرارات الصائبة، ولم يلجأ الإسلام إلى القتال والجهاد إلا بعد أن طفح الكيل ولم يبقَ هناك من مجال وطريق للتعامل والتعاطي مع الحالة إلا عبر سبيل القتال، أي إن القتال حالة طارئة ومستجدة ولم يكن الأساس والأصل الذي بني عليه الإسلام، والأصل وكما أسلفنا هو الوسطية والاعتدال والذي هو منهج العقل والمنطق المتلائم والمعاصر لكل العصور والأزمنة.

نسأل الله عز وجل ان يكشف هذه الغمة عن هذه الأمة ويصلح حالها ويحفظها من كل مكروه.

والحمد لله رب العالمين.

محمد علي الحسيني

بيروت – ٢٠١٧

منشورات الحسيني

www.mohamadelhusseini.net

محمد علي الحسيني

بقلم: الاستاذ صلاح الساير

جريدة الأنباء الكويتية

«محمد الحسيني»

تربطني به صداقة في مواقع التواصل الاجتماعي، أتابعه ويتابعني، وكثيراً ما أعجب بطروحاته الاجتماعية والسياسية والدينية، المفعمة بالإيجابية، والدالة على الخير، والهادية إلى الرشاد. وبهدف التعرف إليه أكثر قمت بزيارة موقعه الإلكتروني: www.mohamadelhusseini.net

وتعرفت على الجهود المباركة التي يبذلها رجل الدين الشيعي السيد محمد علي الحسيني الداعي إلى وحدة الصف العربي والإسلامي، والمنادي بنبذ التطرف، والمحذر من خطورة التناحر المذهبي.

سماحة السيد محمد علي الحسيني، رجل دين، مسلم، مثقف، يؤمن

بأن «الصدق والأمانة في المعاملات الإنسانية يشكلان حجر الأساس في الديانات السماوية، ويرى أنه من الواجب علينا أن نلتفت إلى القواسم المشتركة بين الأديان، وأن الأكثر قرباً من الله تعإلى هم أولئك الذين ينشرون قيم الخير والمحبة». كما أنه يرى «أن انقطاع المسلمين عن الكثير من المفاهيم والقيم الإسلامية السمحة وعدم تدبرهم في الخلفيات الدينية والتاريخية لها، جعلهم يحملون تصورات وفهماً خاطئاً لها».

شيخ دين مبادر، ينشر الكتب والرسائل، ويلقي الدروس والمحاضرات والخطب، ويتواجد في الإعلام الرسمي والاجتماعي. وبإصرار وعزيمة لا تلين، يترحل في الآفاق بين الدول والمنظمات الدولية للمشاركات الإيجابية النافعة. تجده اليوم محاضراً في البحرين، وغداً في بروكسل، وبعد غد في باريس يزور الكنيس اليهودي للحوار مع الحاخامات داعياً إلى تشكيل تجمع للوقوف بوجه الأشرار.

ناشط وكاتب وخطيب ومفكر إسلامي يقدم صورة عصرية لرجل الدين العربي المسلم الإيجابي، المتصالح مع نفسه، وعروبته، وإخوته البشر من كل دين وملة. ولا أعتقد أن أي مسلم عاقل، حصيف، فطين، بصرف النظر عن قوميته، يمكن أن يختلف مع الأفكار النافعة، والرؤى الرائعة، والآراء السديدة، والدعاوى الرشيدة لهذا الرجل.

نبذة مختصرة عن السيرة ذاتية لسماحة السيّد محمّد عليّ الحسينيّ

السيد محمد علي الحسيني، لبناني الجنسية،علامة إسلامي واسع المعرفة في أمور الدين والدنيا له وزنه وثقله وتأثيره على الساحة العربية والإسلامية، ويحظى بالاحترام والتقدير لدى كافة الأوساط السياسية والفكرية والدينية ولدى المراجع والعلماء وكبار الشخصيات العاملة بالشأن الفكري والديني والسياسي لاسيما في الدول العربية والإسلامية، ويتميز بمواقفه الفكرية والسياسية المنفتحة والدينية المعتدلة الوحدوية الرافضة لمنطق التفرقة والفتنة

ودعاتها. يسعى سماحته لبناء الأرضية العامة لآرائه و مواقفه وفق رؤية جامعة تستند على قراءة فهم واستيعاب دقيق لمختلف الطوائف والأديان والشرائح المكونة لشعوب الدول العربية والإسلامية، ساعياً من خلال ذلك لإيجاد محاور ومرتكزات التحاور والتقارب بين الطوائف والأديان من أجل سيادة مبدأ التودد و التعاطف و التكاتف والتآزر الاجتماعي والإنساني.

ويُعدّ السيد محمد علي الحسيني من العلماء البارزين في العالم العربي والإسلامي الذين يحظون بالاحترام والتقدير نظرا لنشاطاته وجهوده الداعية إلى الوحدة والحوار والاعتدال والانفتاح على الجميع حيث يقوم بنشاط فاعل على الصعيد الإسلامي والعربي في الدول العربية والإسلامية.

لا يدخر العلامة السيد الحسيني جهداً في تقديم النصح والتوجيه، يدعو السيد الحسيني دوماً إلى الحوار من منطلق إيمانه بأهمية الحفاظ على وحدة الأمة.

يحظى بموقع خاص لدى جميع الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية، ويهتم الجميع بآرائه وطروحاته وأفكاره لأنها مبنية على أساس تبني ورعاية مصلحة الجميع وفق قاعدة المصالح والمصير والوطن المشترك. وللسيد الحسيني إهتمامات وإلمام خاص بالأمور والقضايا السياسية، وهو يكتب دراسات وبحوثاً وتحليلات سياسية متباينة تستند على المباني الفكرية والفقهية الإسلامية وعلى مستجدات وتطورات وتداعيات وتداخلات الأوضاع والأحداث السياسية، ولسماحته متابعة يومية بتطورات ومستجدات الأحداث بالاضافة

إلى علاقته الوثيقة جداً بالأوساط الشعبية التي يحرص دوماً على معرفة همومها ومشاكلها ومشاغلها لكي يبني آراءه وطروحاته على أرضية تشمل كل الجوانب والأبعاد.

لدى السيد محمد علي الحسيني أكثر من سبعين كتاباً في المواضيع الإسلامية والسياسية، وهي مطبوعة وترجم منها إلى الانكليزية.

مؤلفات السيد الحسيني التي تزيد عن السبعين تشمل الكتب الفقهية والأصولية والعقائدية والتاريخية والأخلاقية والسياسية، والكتب الإسلامية العامة، وسلسلة معارف المسلم، ورسائل وأبحاثاً.

شارك في عدة مؤتمرات إسلامية وسياسية في لبنان والدول العربية - البحرين الإمارات السعودية قطر الأردن - وأوروبا.

سافر السيد الحسيني إلى دول عدة في إطار دعوات رسمية ومنها: الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية ،دولة قطر، ومملكة البحرين ، ودولة الكويت، والأردن، ومملكة المغرب، بالإضافة لتركيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والدنمارك، والسويد، وبلجيكا، وكوناكري، وذلك في إطار نشاطات ومشاركات في مؤتمرات وحوارات فكرية ودينية وسياسية.

المصادر

(١).(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، د.جواد علي.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام، د.محمد سهيل طقوش.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، د.جواد علي.

(٥) العقد الفريد، ٢ : ٨٦.

(٦) فجر الإسلام، أحمد أمين ص٩.

(٧) جوانب من حياة العرب في الجاهلية، د. عبد العزيز غنيم.

(٨) د.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) مطالبة معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الخليفة عثمان، بالثأر، والاقتصاص، الطبري، تاريخ الطبري؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ؛ ابن العربي، العواصم من القواصم.

(١٢) صابر عبد الرحمن طعيمة، الإسلام في العهد المدني والخصومات القديمة المتجددة.

(١٣) شرح النهج، ابن أبي الحديد، المجلد التاسع ص٢٢٧.

(١٤) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(١٥) موقع الراصد، العدد التاسع والعشرون. ذو القعدة ١٤٢٦.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) ثورة الزنج، الشيخ ناصر بن محمد الأحمد.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) موقع الراصد، العدد التاسع والعشرون. ذو القعدة ١٤٢٦.

(٢٣) ثورة الزنج والتأسيس النظري لها وواقعها العملي، ياسر جاسم قاسم، موقع النور للدراسات.

(٢٤) القرامطة... ثورة المستضعفين في الأرض،محمد السيد الطناوي. موقع البديل.

(٢٥) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، محمد بن مالك الحمادي اليماني.

(٢٦) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبد الله عنان.

(٢٧) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة.

(٢٨) المؤامرة على الإسلام، أنور الجندي.

(٢٩) القرامطة، عبد الرحمن بن الجوزي.

(٣٠) إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة.

(٣١) الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني.

(٣٢) الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني.

(٣٣) فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي.

(٣٤) شرح النهج، ابن أبي الحديد، المجلد الثالث ص١٠.

(٣٥) ويكبيديا، الموسوعة الحرة.

(٣٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٣٧) الملل والنحل، ص: ١٢٧.

(٣٨): الفرق بين الفرق، ص: ٢٩٠.

(٣٩): إسلام بلا مذاهب، ص: ٢٣٩.

(٤٠) الحركات الباطنية، ص: ١٦٧

(٤١) الآية الرابعة، سورة الشورى.

(٤٢) الآية ١٥٩، سورة آل عمران.

(٤٣) الآية ٧ سورة الحشر.

(٤٥) الآية ١٥٣، سورة الأنعام.

(٤٦) الآية ١٧٠، سورة البقرة.

(٤٧) الآية ٢٢، سورة الزخرف.

(٤٨) الآيات ٦،٧،٨ سورة الانفطار.

(٤٩) الآيات ٨،٩،١٠ سورة البلد.

(٥٠) الآية ٧٠ سورة الإسراء.

(٥١) الآية ٤ سورة التين.

(٥٢) مبادئ علم النفس، الدكتور مختار حمزة، ص١١٩.

(٥٣) الآيات ٧،٨،٩،١٠ سورة الشمس.

(٥٤) الآية ٨ سورة الرعد.

(٥٥) السنن التاريخية في القرآن الكريم، آية الله محمد باقر الصدر.

(٥٦) الآية ١٣ سورة الحجرات.

(٥٧) الآية ١٢٥، سورة النحل.

(٥٨) الآية ٤ سورة فصلت.

(٥٩) ٦: ٢٩ إنجيل لوقا.

(٦٠) الآية ٢٥٦، سورة البقرة.

(٦١) الآية ٧، سورة آل عمران.

(٦٢) تفسير الميزان، العلامة آية الله محمد حسين الطباطبائي، الجزء الأول، ص٣٤٣.

(٦٣) الآية ١٩، سورة آل عمران.

(٦٤) الآية ٢٠، سورة آل عمران.

(٦٥) الآية ٦٢، سورة البقرة.

(٦٦) (٦٧) موسوعة الأخلاق، معنى العفو والصفح لغة واصطلاحاً، الدرر السنية.

(٦٨) الآية ٢٣٧، سورة البقرة.

(٦٩) الآية ٧، سورة الحشر.

(٧٠) الآية ١٤٣ سورة البقرة.

(٧١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٧٢) الآية ١١٠، سورة آل عمران.

(٧٣) الآية ٧٧، سورة القصص.

(٧٤) الآية ٢٨٦، سورة البقرة.

(٧٥) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله سبحانه وتعالى أدومه، رقم: (٤١). ومسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو...، رقم (١٣٠٨).والنسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الاختلاف على عائشة في إحياء الليل، رقم: (١٦٢٤). وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: المداومة على العمل، رقم: (٤٢٢٨). والإمام أحمد، مسند باقي الأنصار، رقم: (٢٤٤٥١).

(٧٦) رواه البخاري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه، رقم: (١٨٣٢). والترمذي، كتاب: الزهد، باب: منه، رقم : (٢٣٣٧).

(٧٧) رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في التأني والعجلة، رقم: (١٩٣٣)، وقال: حديث حسن غريب.

(٧٨) رواه الديلمي في كتابه: الفردوس بمأثور الخطاب، رقم: (٥٢٤٩)، (٣/ ٤٠٩)، عن أنس بن مالك وابن عمر.

(٧٩) قال ابن حجر: (قوله : (مه)، قال الجوهري: هي كلمة مبنية على السكون، وهي اسم سمي به الفعل، والمعنى اكفف، يقال: مهمهته إذا زجرته، فإن وصلت نونت فقلت مه، وقال الداودي: أصل هذه الكلمة: (ما هذا) كالإنكار فطرحوا بعض اللفظة، فقالوا: مه فصيروا الكلمتين كلمة، وهذا الزجر يحتمل أن يكون لعائشة؛ والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكرت، ويحتمل أن يكون المراد النهي عن ذلك الفعل، وقد أخذ بذلك جماعة من الأئمة، فقالوا: يكره صلاة جميع الليل كما سيأتي في مكانه)، فتح الباري، (١/ ١٠٢).

(٨٠) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله سبحانه وتعالى أدومه، رقم: (٤١). ومسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو..، رقم (١٣٠٨). والنسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الاختلاف على عائشة في إحياء الليل، رقم: (١٦٢٤). وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: المداومة على العمل، رقم: (٤٢٢٨). والإمام أحمد، مسند باقي الأنصار، رقم: (٢٤٤٥١).

(٨١) رواه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: ما يكره من التشديد في العبادة، رقم: (١٠٨٢). ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم: (١٣٠٦). والنسائي، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الاختلاف على عائشة في قيام الليل، رقم: (١٦٢٥). وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: النعاس في الصلاة، رقم (١١١٧). وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في المصلي إذا نعس، رقم: (١٣٦١).

(٨٢) رواه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم: (٤٦٧٥). ومسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، رقم: (٢٤٨٧).

والإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم(١٣٠٤٥).

(٨٣) رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (١٤٣٣). والترمذي، كتاب: الجمعة، باب: ما جاء في قصر الخطبة، رقم: (٤٦٥). والنسائي، كتاب: الجمعة، باب: القراءة في الخطبة الثانية والذكر فيها، رقم: (١٤٠١)، وكتاب: صلاة العيدين، باب: القصد في الخطبة، رقم: (١٥٦٤). وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، رقم: (٩٢٨). وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسُّنة فيها، باب: ما جاء في خطبة الجمعة، رقم: (١٠٩٦). والإمام أحمد، أول مسند البصريين، رقم: (٢٠٠٢٣). والدارمي، كتاب: الصلاة، باب: في قصر الخطبة، رقم: (١٥١٢)، والقصد: هو الوسط بين الطرفين، والقصد: استقامة الطريق، قصد يقصد قصداً فهو قاصد، أي أخذ طريقاً معتدلاً، ينظر: النهاية في غريب الحديث، (٤/ ٦٧)، ولسان العرب، (٣/ ٣٥٣).

(٨٤) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب:﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾، رقم: (٤٣٥٣). ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية، رقم: (٦٧٧). والنسائي، كتاب: الافتتاح، باب: قوله سبحانه وتعالى:﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾، رقم: (١٠٠١). والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم (٣٠٧٠). والإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم: (١٥٠).

(٨٥) رواه الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم: (١٤٠٠٣).

(٨٦) رواه النسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: التقاط الحصى، رقم: (٣٠٠٧). وابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، رقم: (٣٠٢٠). والإمام أحمد، ومن مسند بني هاشم، رقم:(٣٠٨٧).

(٨٧): رواه مسلم، كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة

والمراقبة، رقم: (٤٩٣٧). والترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق، باب: منه، رقم: (٢٤٣٨). والإمام أحمد، أول مسند الكوفيين، رقم: (١٨٢٦٨).

(٨٨) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم، رقم: (٢٠٥٩). ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: قضية هند، رقم: (٣٢٣٣). والنسائي، كتاب: آداب القضاة، باب: قضاء الحاكم على الغائب إذا عرفه، رقم: (٥٣٢٥). وأبو داود، كتاب: البيوع، باب: في الرجل يأخذ حقه من مال زوجها، رقم: (٣٠٦٥)، وابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: ما للمرأة من مال زوجها، رقم: (٢٢٨٤). والإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم: (٢٢٩٨٨). والدارمي، كتاب: النكاح، باب: في وجوب نفقة الرجل على أهله، رقم:(٢١٥٩).

(٨٩) رواه ابن ماجه، كتاب: الكفارات، باب: من أوسط ما تطعمون أهليكم، رقم: (٢١٠٤).

(٩٠) الآية ١٥٣، سورة الأنعام.

(٩١) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٧٤.

(٩٢) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

(٩٣) الآية ٩، سورة الحشر.

(٩٤) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

(٩٥) الآية ١١٠، سورة آل عمران.

(٩٦) الآية ٤٨ سورة المائدة.

(٩٧) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٣٢. ٣٣.

(٩٨) تفسير الميزان، الجزء السادس، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ص٨٧. ٨٨. ٨٩. ٩٠.

(٩٩) روى عبدالله بن ذكوان عن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أن وراءه رجلاً أحول، وضيء الوجه، ذا غديرتين، يقول إنه صابئ كاذب، فقلت من هذا؟ قالوا محمد بن عبدالله، وهو يذكر النبوة، قلت من هذا الذي يكذبه؟ قالوا عمه أبو لهب.

(١٠٠) الآية ١٥٦، سورة الأعراف.

(١٠١) مصابح الشريعة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

(١٠٢) المقصد الأسنى، الإمام الغزالي، ص١٥٠.

(١٠٣) الآية ٤، سورة القلم.

(١٠٤) أخرجه أحمد ٢/ ٣٨١ (٨٩٣٩) قال: حدثنا سعيد بن منصور. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس.

(١٠٥) تفسير الميزان، العلامة محمد حسين الطباطبائي، الجزء١١، ص ١٥٨ . ١٥٩. ١٦٠. ١٦١.

(١٠٦) الآية ١٨٥، سورة البقرة.

(١٠٧) سورة قريش.

(١٠٨) الآية ٤٢، سورة فصلت.

(١٠٩) محمد مؤنس محب الدين، الإرهاب في القانون الجنائي، ص٨١.

(١١٠) الحشاشون، ويكيبديا، الموسوعة الحرة.

(١١١) الحشاشون، ويكيبديا، الموسوعة الحرة.

(١١٢) الحشاشون فرقة ثورية، برنارد لويس، ص ١٥ و ١٦.

(١١٣) ص١٤ و ١٥، المصدر السابق.

(١١٤) الآية ١٠، سورة الأنفال.

(١١٥) الآية ٢٨، سورة الرعد.

(١١٦) الآية ٥٧، سورة يونس.

(١١٧) الآية ٨٢، سورة الإسراء.

(١١٨) الآية ٤٤، سورة فصلت.

(١١٩) الآية ١٩٦، سورة البقرة.

(١٢٠) الآية ٣٢ سورة المائدة.

(١٢١) الآية ٢، سورة المائدة.

(١٢٢) الآية ٨، سورة الممتحنة.

(١٢٣) الآية ٨، سورة المائدة.

(١٢٤) البزار والطبراني وغيرهما، انظر: الترغيب والترهيب رقم: (٤١٢٩).

(١٢٥) أبو داود (٥٠٠٤). وأحمد (٥ / ٣٦٢). والبيهقي (١٠ / ٢٤٩).

(١٢٦) الطبراني وأبو الشيخ انظر:كنز الدقائق (٤٣٧١١).

(١٢٧) مسلم: (٢٦١٦).

(١٢٨) البخاري: (٧٠٧٢). ومسلم: (٢٦١٧).

(١٢٩) الآيتان ٣ و ٤، سورة النجم.

(١٣٠) ويكيبديا، الموسوعة الحرة.

(١٣١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.(١/ ٤٩٨).

(١٣٢) شرح النهج، ابن أبي الحديد ص١٨٣.

(١٣٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، الجزء ٤١، ص٥.

(١٣٤) سورة اقرأ.

(١٣٥) الآيتان ٨ و ٩، سورة الممتحنة.

(١٣٦) الآية ١٢٥، سورة النحل.

(١٣٧) الآية ٦٤، سورة آل عمران.

الفهرس

توطئه..... ٥

الفصل الأول

من أين انطلق التطرف والغلو والارهاب؟..... ١١

الأوضاع الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل الإسلام..... ١٦

الأوضاع الاقتصادية في الجزيرة العربية قبل الإسلام..... ٢٥

الأوضاع السياسية والفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام..... ٢٨

الفصل الثاني

التطرف والإرهاب عبر التاريخ الإسلامي..... ٣٣

حركة الخوارج..... ٣٤

وقفة مع وصية للإمام علي بن أبي طالب بخصوص التعامل مع الخوارج..٣٦

ثورة الزنج..... ٤١

حركة القرامطة..... ٤٨

أفكار ومعتقدات القرامطة..... ٤٩

الجذور الفكرية والعقائدية لحركة القرامطة..... ٥٢

مواقع انتشار القرامطة وما اقترفوه من جرائم..... ٥٤

ثلاثة أصوات واتجاه واحد..... ٥٦

الفصل الثالث

الإسلام مدرسة الاعتدال والوسطية والقبول بالآخر..... ٦٧

لكل حوار ونقاش ومشاورة... أساس..... ٧٠

الإسلام يريد مسلماً عقلانيّاً منفتحاً..... ٧٤

العوامل والجوانب التي تتكوّن منها شخصية الإنسان..... ٧٦

المجتمع كما يريده الإسلام..... ٨٠

الاعتدال والوسطية... الأرضية المرنة للإسلام..... ٨٩

الوسطية في القرآن والسنة النبوية.....١٠٢

الاعتدال والوسطية في السُّنة النبوية..... ١١١

الإسلام بني على الوسطية والاعتدال..... ١١٨

مظاهر الوسطية والاعتدال..... ١٣١

الفصل الرابع

الإرهاب عبر التاريخ..... ١٤٣

الحشاشون والإسلام..... ١٥٠

مصارحة ومكاشفة لا بد منها..... ١٦٤

كيف نحقق المعجزة؟..... ١٧٤

ما جناه الغلوّ والتطرف والإرهاب على أمتنا..... ١٨٥

ضرورة تجديد الخطاب الديني..... ١٩٠

هذه السمات التي يتسم بها الخطاب الديني السائد..... ١٩٥

محمد علي الحسيني بقلم الاستاذ صلاح الساير..... ٢٠٨

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لسماحة السيد محمد علي الحسيني..... ٢١٠

المصادر..... ٢١٥

الفهرس..... ٢٢٧

أصالة الاعتدال
والوسطية في الإسلام

كتاب يسعى لإظهار حقيقة براءة الإسلام من الكراهية والتطرف، والإرهاب، والغلو والتكفير، لأن الاعتدال، والتسامح، والوسطية، والمحبة وقبول الآخر، هو الأصل فيه وهو يعتمد على نصوص من الكتاب والسُّنة ومصادر تاريخية وفكرية مختلفة.

ويختم الكتاب بالتأكيد على أن ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المؤكدة على رفض العنف، والتطرف والإرهاب وأنها وحدها لا تكفي، وهي صارت معروفة...

فلا بد من موافقة الأفعال الأقوال وتطابقها معها وهذا هو الأهم.

لذا وضعنا خطة واستراتيجية خاصة لمعالجة واقعية فعلية لهذا المرض الذي بات يفتك بالأمة، بل بالعالم باسم الإسلام المزيف والتكفيري المنحرف المشوّه وما نصبوا له.

هذه الخطة والاستراتيجية لإبطال الباطل وإظهار الحق وليعم السلام والأمان والاستقرار والتعايش السلمي بمحبة وتسامح واعتدال ووسطية، بعيداً عن الكراهية، والعنف، والتطرف والتكفير.

محمد علي الحسيني

منشورات الحسيني
www.mohamadelhusseini.net